دين وعلم

دكتور
احمد شوقى الفنجرى

الإسلام و الحياة الجنسية

لكل مسلم ومسلمة
قبل الزواج وبعده

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم :(٧١)
٢١٤،١٥
أ ٢ ف

دكتور
احمد شوقي الفنجري

الإسلام و الحياة الجنسية

لكل مسلم ومسلمة
قبل الزواج وبعده

عالم الكتب
٣٨ عبد الخالق ثروت ــ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

السيد الأستاذ / مدير عالم الكتب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

فبالإشارة إلى الطلب المقدم منكم بخصوص كتاب بعنوان "الإسلام والحياة الجنسية" لمؤلفه الدكتور / أحمد شوقي الفنجري.

نفيدكم بأنه لا مانع لدى الإدارة من طبع هذا الكتاب على نفقتكم الخاصة.

ومرافق لهذا نسخة من الكتاب المذكور.

رجاء العلم والإحاطة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحريراً في [illegible] ذو القعدة [illegible] هـ

مدير عام
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة
[illegible]

مقـــدمة لابد منها

من خلال عملي لسنوات طويلة كطبيب للأسرة المسلمة، وفى نفس الوقت من خلال كتاباتى ومؤلفاتى فى موضوعات دينية تجمع بين الدين والعلم.

فقد كانت تعـــرض على الكثير من المشاكل والأسئلة الخاصة بقضايا العلاقات الزوجية والجنسية. وأكثر أصحاب هذه الأسئلة من الشباب المسلم المثقف المحافظ على دينه بحيث أنه يريد الجمع بين تعاليم الدين الحنيف وبين واقع الحياة.

وإلى جانب ذلك فقـــد شاهدت بنفسى الكثير من المشاكل حول هذه القضية والتى عولجت باسلوب خاطىء وغير علمى مما يتسبب عنه مضاعفة الأزمة وتعقد الحياة الزوجية وكثيراً ما كانت تنتهى بالطلاق. وليس من. السهل أن يعرض الإنسان مشاكله الجنسية على أى شخص فقضايا الجنس من المسائل الخاصة جداً التى قد يتحرج أغلب الناس وخاصة فى عالمنا العربى والإســلامى من الخوض فيها. وسواء كان هذا الشخص أعزباً أم متزوجاً ومهما بلغت الأزمة من التعقيد والخطر فإنه يتحاشى التحـــدث عنها بصراحة، بل أن الكثير من هؤلاء الشباب إذا وجد فى

نفسه الشجاعة على الكلام فإنه لايجد فى نفسه القدرة على التعبير عن مشكلته أو الإفصاح عما يقلقه . وذلك بسبب قلة إطلاعه على هذه المسألة وقلة معلوماته عنها .

وفى مثل هذه الأحوال قد يتدخل الأهل والأقارب بدافع الرغبة فى الخير والإصلاح بين الزوجين ويحاولون دون جدوى معرفة الأسباب الكامنة وراء هذه الخلافات وعندما لا يجدون أسباباً ظاهرة ومقنعة يمارسون الضغط على الطرفين للصلح ولكنه صلح مؤقت وعلى أساس غير سليم وسرعان ماتعود المشاكل والخلافات لأن السبب الأصلى لم يحل .

ومما يزيد الأمر صعوبة ، ندرة ما يعرض من كتب ودراسات فى هذا الميدان فى المكتبة العربية فالكتب الجادة التى تتناول قضايا الجنس نوعان :

النوع الأول : علمى بحت :

وهو غالباً مترجم عن علماء أوروبيين بحيث أنهم لا يعرفون أحوال الأسرة المسلمة وحياتها وتقاليدها وبالتالى لا يعرفون مشاكلها الخاصة ولا يتعرضون لها وإذا تعرضوا لبعض هذه المشاكل بالحل فمن خلال المفهوم الأوربى للحياة وهو فى الواقع أبعد ما يكون عن حياتنا وتعاليم ديننا .

النوع الثانى : دراسات نظرية :

تتناول القضية من الجوانب التربوية والفقهية والأخلاقية وهذه تعتمد غالباً على المواعظ القديمة ولا تعتمـــد على دراسات ميدانية أو تتطرق إلى واقع الحياة .

ومن هنا وبناء على كل هذه الحقائق التى شرحناها فقد شعرت بالحاجة الملحة إلى كتاب من نوع خاص يحقق الأهداف التالية :

أولا — أن يكون عملياً وواقعياً : وليس مجرد آراء نظرية وذلك بالتركيز على القضايا التى لمستها بنفسى من واقع الحياة فى كل أسرة مسلمة والتى تتركز حولها أسئلة الشباب المسلم ومن هنا فقد حددت ١٦ قضية هامة وأجبت عنها برأى الدين والعلم .

ثانياً : أن يكون جديداً فى فكره : وغير تقليدى فى تعرضه للمشاكل فما أشد حاجة للشباب المسلم إلى آراء وأفكار متطورة ومتفتحة بشرط أن تكون مبنية على عنصرين رئيسين : **قواعد الشرع الحنيف ومقتضيات مجتمع القرن العشرين .**

ثالثاً — أن يكون الكتاب مركزاً ومختصراً : ولذلك فقد حرصت على عدم التعرض للمسائل البديهية التى يعرفها

كل إنسان ، سواء بالفطرة أم بالإطلاع على كتب الثقافة العـــامة .

رابعاً — وفى نفس الوقت فقد حرصت على عدم الهروب من القضايا الشائكة والتى يدور حولها جدل أو خلاف فى الرأى . فطالما كان هدفنا هو الإصلاح ووسيلتنا هى العلم فلا يجب أن نخشى من الرأى المعارض بل سيلاحظ القارىء أنى أفضت فى هذه القضايا بالذات وأعطيتها حقها من الشرح وعرضت وجهة النظر المعارضة وفندتها بأدلة من الشرع والعـــلم .

أسلوب البحث فى هذا الكتاب :

ونظراً لأهمية القضايا التى يتعرض لها هذا الكتاب فقد حرصت كما عودت القارىء فى كتبى السابقة أن أتبع الأسلوب العلمى الذى يتحرى الدقة فى سرد كل رأى والرأى المعارض له مع حجج كل من الرأيين ... وأن أعتمد فى إبراز وجهة نظرى على أربعة مصادر رئيسية بهذا الترتيب : —

(أولا) القرآن الكريم . (ثانياً) الحديث الشريف (مع تخريج كل حديث وتدقيقه)

(ثالثاً) الفقه الإسلامى . (رابعاً) رأى العلم الحديث .

وختاماً :

فكلى رجاء وأمل أن يصل هــذا الكتاب إلى كل مسلم ومسلمة سواء قبل الزواج أو بعده ، لكى يكون معيناً لها على حياة زوجية سليمة وعلى مواجهة مشكلة الجنس التى تعتبر من أهم المسائل فى حياة كل إنسان بأسلوب علمى مدروس ، فإن الجهل بهذه القضية بالذات أو التعتيم عليها له عواقب وخيمة قد تنهار بسببها الأسر وتخرب البيوت .

حمى الله بيوت المسلمين من كل سوء .

دكتور
أحمد شوقى الفنجرى
الكويت ص ب ٣٦٣٤
السالمية

١ – العلاقة بين الدين والجنس

نجاح الأسرة

يبـــدأ من الوفاق فى فراش الزوجيـــة

فإذا انتفى هذا الوفاق انهارت الحياة الزوجية

العلاقة بين الدين والجنس

الجنس وأثره فى السلوك الانسانى : ـ

الجنس عامل هام فى حياة الإنسانية والكائنات الحية كلها ويكفى أنه سبب بقائنا على الأرض وتكاثرنا فيها .

وقد وجد العلم أن حاجات الكائن الحى الرئيسية ثلاثة :ـ

هى السلامة أولا ثم الطعام ثانيا ثم الجنس ثالثا :

وبكلمات أخرى : غريزة حب البقاء ثم غريزة الجوع ثم غريزة التناسل .

ـ وكما أن الحرمان من السلامة وعدم الشعور بالأمن قد تؤدى بالإنسان إلى الذعر أو الانهيار العقلى :

ـ والحرمان من الطعام يؤدى إلى الهزال ثم الموت .

فكذلك الحرمان من الجنس يؤدى إلى الكثير من الانحرافات الخلقية والعقلية والتشوهات النفسية .

والنظريات العلمية الحديثة تعتبر الجنس أحـــد العوامل الرئيسية المسيطرة على غرائز المخلوقات وطبيعتها وسلوكهما.

— فالنشاط والحيوية والطاقة الخلاقة والروح القيادية تعود إلى دوافع جنسيه .

— وعلى النقيض فان التبلد والخمول والانطواء وضعف الشخصية يعود أيضا إلى عوامل جنسية .

— وفى الحيوانات التى تعيش حياة القطيع البرى نرى أن أكثرها فحولة وذكورة هو الذى يتولى القيادة والسيطرة . . . . ولا يأذن لأحد بمخالفته . . فاذا ظهر من القطيع فحل غيره منافس له فان الصراع يقوم بينهما حتى الموت أو طرد الأقل فحولة وقوة .

ومن علماء النفس الكبار أمثال (فرويد) من يبالغ فى تقدير دور الجنس فى سلوك البشر . . فيجعله كل شىء فى الحياة حتى منذ لحظة ولادة الطفل . . وفى ذلك يقول . . . . . « إن مص الطفل لثدى أمه للرضاعة . . ثم مص الأصابع . . ثم عض المصاصة الكاوتشوك كلها من مظاهر النشاط الجنسى »

وعلى كل حال . . فمن الحقائق الثابتة التى لا يمكن اغفالها أن التربية الجنسية السليمة . . والحياة الجنسية السليمة تخلق إنسانا سويا فى طباعه وأخلاقه وتصرفاته . .

كما أن التربية الجنسية الخاطئة . . والحياة الجنسية الشاذة .... تخلق إنسانا مليئا بالعقد فى كل تصرفاته . . وبالشذوذ فى أفكاره وأعماله .

الدين والجنس :

ومن هنا . . كان اهتمام الأديان السماوية جميعا . وبالتالى المذاهب والعقائد التى صنعها البشر بتنظيم المسألة الجنسية . . ويهدف هذا التنظيم إلى عاملين هامين :

الأول : تهيئة الإنسان منذ نشأته لحياة جنسية سليمة وذلك بوضع القواعد والضوابط — والتشريعات اللازمة لها . .

ثانيا : تهذيب الغرائز الحيوانية والبدائية فى الإنسان وتغليب العقل على الغريزه والالتزام بالمبادىء على الاستسلام للغرائز . .

هذا هو الهدف المشترك بين جميع النظم فى تصديها لغريزة الجنس ولكن الملاحظ أن هذه النظم تتناول هذا الموضوع بالذات باتجاهات شديدة التفاوت والتناقض .

— منها ما يغرق فى الروحانية ويعتبر الجنس أمراً حيوانيا وغريزة دنيا يجب أن يتنزه الإنسان عنها إن استطاع وأن يترهبن ويعتزل النساء إن أمكن .

— ومنها مايغرق فى المادية والشهوانية ويعتبر الجنس كل شىء فى الحياة ، وأن الجنس يجب أن يكون مشاعاً لمن يشاء وبالطريقة التى يشاء كالشيوعية والوجودية .

— أما الإسلام فقد جاء ديناً وسطاً بين المذهبين فالمنهج

الإسلامى فى النظر إلى الجنس وتنظيمه يتسم بالواقعية والمثالية فى وقت واحد . . .

فهو ينظر إلى الإنسان كبشر لا كملاك . . وله حاجاته الضرورية التى لايمكن مقارنته فيها بالملائكة ولا يمكن حرمانه منها . . .

وهو فى نفس الوقت يتسامى بهذا الإنسان عن الانحطاط بغرائزه إلى مستوى البهيمة والحيوان بحيث يقضى حاجته بغير قيود ولا مسئوليات ولا تنظيم .

فى نفس الوقت الذى يأمر الإسلام بالزواج ويعتبره مكملا للدين أو نصف الدين ويمنع الرهبانية ويسمح بالطلاق حين ينعدم الوفاق الروحى ويسمح بالزواج حتى أربعة إذا اقتضت الظروف .

فإنه حاسم كل الحسم مع المنحرفين الذين يريدون العدوان والصيد فى حمى غيرهم أو التحلل من قيود الأسرة والمجتمع ويوقع أشد العقاب على جريمة الزنا أو الانحراف .

والملاحظ أن الإسلام فى معالجته لمشاكل الجنس لم يترك فى هذا المجال صغيرة ولا كبيرة إلا طرقها ووضع لها تنظيما ثابتاً ودقيقاً . فقد اهتم الإسلام بالثقافة والتربية الجنسية.. وتنظيم الزواج والطلاق والتلاقى بين الجنسين . وبين جزاء الانحرافات كالزنا واللواطة .. ووضع تنظيمات للصحة الجنسية

كالطهارة للذكور . والغسل بعد الجماع وبعد المحيض عدم المجامعة أثناء الحيض بل لقد اهتم أيضاً بالأوضاع الجنسية والعلاقات الجنسية والأسلوب السليم الصحى لها .

كل هذا بقصد خلق مجتمع سليم من الوجهة الصحية والنفسية والأخلاقية وهذه هى تعاليم الإسلام فى كل واحدة من هذه المجالات :

* * *

٢ – التثقيف بالجنس فى الاسلام

قالت عائشة أم المؤمنين

نعم النساء نساء الأنصار

لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين

رواه مسلم بكتاب الحيض

والبخارى كتاب العلم ه

أسلوب الثقافة الجنسية فى الإسلام

لقد تميزت المدرسة الإسلامية فى مجال التثقيف الجنسى بالصراحة والوضوح تحت الشعار الذى يقرره الإسلام « لاحياءفى الدين» فالزواج فى الإسلام اسمه « عقد النكاح » وهى كلمة صريحة ومباشرة مأخوذة من القرآن .

والفقه الإسلامى يتحدث بوضوح وتحديد قاطع عن النكاح والإيلاج والإنزال ودخول المرود فى المكحل إلى غير ذلك من المسائل الفقهية التى لابد من تحديدها بأسلوب قاطع لالبس فيه ولا إبهام وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرح آداب المباشرة الجنسية فى الإسلام فى المسجد فى حضور الرجال والنساء معاً بل فى حضور الفتاة العذراء والشاب المراهق . فعن أبى هريرة قال :

« صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سلم أقبل علينا بوجهه فقال مجالسكم . هل منكم الرجل إذا أتى أهله وأغلق بابه وأرخى ستره ثم يخرج فيحدث . فيقول فعلت بأهلى كذا وفعلت بأهلى كذا ؟ فسكتوا حياء ... فأقبل على

النساء فقال هل منكن من تحدث ؟ فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله ويسمع كلامها فقالت : أي والله أنهم يتحدثون فقال عليه السلام هل تدرون ما مثل من فعل ذلك ؟

إنه مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما صاحبه بالسكة فقضى حاجته منها والناس ينظرون » .

رواه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة

وأحاديث رسول الله عن المرأة وعن الجنس وعن حب المرأة فيها من الشجاعة والواقعيةمالا يوجد مثيله إلا في كتب التربية العلمية الحديثة .

أنظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم « حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء » وقوله « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » أخرجه مسلم والنسائي .

وسئل مرة « يارسول الله من أحب الناس إليك ، قال : عائشة قيل ومن من الرجال ؟ قال : أبوها » أخرجه مسلم .

ويقول في الحث على الزواج بالأبكار « عليكم بالأبكار فإنهن أكثر حباً وأقل خبأ » وجاء أحد صحابته يخبره أنه قد خطب .. فسأله « بكرا أم ثيبا » . . . فقال له « ثيب » فقال الرسول « ألا من بكر تداعبها وتداعبك أخرجه الخمسة . وفي رواية أخرى « تعضها وتعضك » .

. ويحث الإسلام على إحترام الغريزة الجنسية . . . وعدم النظر إليها بنظرة التعالى أو الاحتقار كما تفعل بعض المذاهب الأخرى فهذا التعالى يورث العقد والنفاق ويجعل الإنسان يحتقر نفسه وزوجه ومجتمعه . . ولهذا السبب كان الصحابة وزوجاتهم يستشيرون رسول الله فى ما يحدث بينهم وبين أزواجهم من مشاكل جنسية وعاطفية ، ورسول الله يجيبهم بما يعلمه وما لا يعلمه ينزل عليه به الوحى فى كتاب الله فى رأى قاطع وحاسم وصريح ودون ابهام أو مواربة .

وإلى جانب هذه الصراحة والوضوح فإن القرآن يأتى بتعاليمه فى المسألة الجنسية فى غلالة من الألفاظ الرقيقة والآداب الوقورة والكناية الجميلة .

فمن ذلك قوله تعالى :

« أو لامستم النساء » والقصد بها ملامسة الشهوة وليست اللمسة العادية .

وقوله عن المجامعة « قد أفضى بعضكم إلى بعض » (النساء ٢١) .

وقوله « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه » (يوسف ٢٤)

وقوله « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » (البقرة ٢٢٣) .

وبهذا الأسلوب الرفيع يسرد القرآن الكثير من قصص الحب والجنس لكى يضرب للشباب المثل الأعلى والتصرف الاسلامى فى كل موقف ... حتى تصبح تلك الأمثال قدوة لهم على مر الأجيال .

فمن ذلك قصة العفة والارادة متمثلة فى نبى الله يوسف مع امرأة العزيز وقصة الحب العذرى متمثله فى نبى الله موسى الذى اعجبت به ابنة شعيب لأمانته وقوته فقالت لأبيها :

« يأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين» ففهم الأب فى الحال فقال لموسى « إنى اريد أن انكحك احدى ابنتى هاتين » (القصص ١٦)

وفى حديث رسول الله الكثير من قصص الحب والجنس التى يضربها كمثل على العفة والتقوى وجزاءها عند الله : فمن ذلك قوله :

« انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم البيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخره من الجبل فسدت عليهم الغار . فقالوا لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم » فأخذ كل منهم يروى ما عمـــله من صالحات والصخرة تنزاح شيئا فشيئا حتى جاء دور الثالث فقال »

« اللهم انه كانت لى ابنة عم احبها كأشد ما يحب الرجال النساء فأردتها على نفسها وامتنعت منى حتى المت بها سنة

من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها حتى إذا قدرت عليها وقعدت بين رجليها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها وانصرفت عنها وهى من أحب الناس إلى وتركت الذهب الذى أعطيتها :

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه » فانفرجت الصخرة (رواه البخارى ومسلم) .

تثقيف الطفل بأمور الجنس :

تختلف المجتمعات المعاصرة اختلافا بينا فى نظرتها إلى تثقيف الطفل بأمور الجنس .. فهناك مجتمعات شديدة التحفظ والانغلاق ترى عدم ذكر أمور الجنس من بعيد أوقريب أمام الطفل فى كل مراحل عمره ... فاذا سأل الطفل سؤالا من أمور الجنس ولوكان عن نشأته وتكوينه تهربوا من الرد وربما اضطروا إلى الكذب المضالل كقولهم (اشتريناك من السوق) ونكون نتيجة هذا الانغلاق أحد أمرين . . أما أن يكبر الطفل جاهلا حتى يفاجأ بالتطورات الجنسية . . كالاحتلام للفتى أوالحيض للفتاة وغير ذلك من الأمورالطبيعية وهو لايدرى عن ذلك شيئا مما قد يصيبه بالعقد الجنسية والأمراض النفسية . . وأما أن يتعلم ذاك من زملائه ومن غير أهله ... وقد يكون بينهم الفاسق والمضلل .

وفى نفس الوقت هناك مجتمعات وخاصـــة فى الغرب تمادى فى اباحة المعلومات. . والمظاهر الجنسية أمام الطفل .. سواء فى حياتهم الخاصة والعامة أم فى وسائل الاعلام مما يسبب لدى الأطفال الكثير من الانحرافات والخلل العقلى والخلقى عندما يصلون إلى مراحل الشباب .

وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن كلا من الاتجاهين خطأ ... بل خطر على كيان الانسان والمجتمع والأسرة ... وتقول النظرية الحديثة أن الناشئة يجب أن يتعلموا أسرار الجنس بالتدرج المناسب لأعمارهم مرحلة بعد مرحلة يستوى فى ذلك الذكور والأناث . . فالطفولة لها قدرها من العلم ثم تأتى فى مرحلة المراهقة ثم مرحلة النضج . . وقد أصبحت المدارس الحديثة تعلم الطفل اللقاح فى الزهور أولا . . ثم تبين له الفرق بين الذكر والأنثى فى النبات ثم فى الحيوان ثم الانسان .. وتريه نماذج من الأجنه فى الأرحام . . فاذا بلغ الطفل سن المراهقة تشرح له كل مشاكل تلك الفـــترة . . والأمراض التناسلية والعادة السرية إلى غير ذلك من المعلومات الحيوية .. وهذا كله يتفق مع أسلوب الاسلام فى التثقيف الجنسى .

فالطفل المسلم يحفظ منذ نعومة أظفاره الكثير من آيات القرآن وسوف يجد فى كثير منها مع شىء من التفسير المتدرج إجابات على أسئلته وسوف نشرح له بالتفصيل الآيات القرآنية

المتعلقة بهذا الأمر ..... فمنها ما يتعلق باللقــاح فى الزهور والنباتات ثم فى الحيوانات والانسان ومنها ما يتعلق بتكوين الاجنة وتطورها ومنها ما يتعلق بالمراهقــة ومشاكلها وواجباتها . . وهذه المعلومات يجب أن يشترك فى تقديمها البيت والمدرسة معا . . ورجل الدين مع رجل العلم . . ومما لا شك فيه أن ارتباط الثقافة الجنسية بالتربية الدينية أمر يجعل للجنس فى نفس الطفل الــكثير من الاحترام والتقدير .

ومن تعاليم الاسلام إلى الأبوين أن يلزموا أولادهم وفى ذلك يقول صلعم « الزموا أولادكم » ومعنى ملازمة الأولاد مرافقتهم وقضاء أكثر الوقت معهم وخاصة فى وقت الفراغ كالنزهة واللهو والطعام وأهم من ذلك وقت الصلاة . . . والهدف من هذه الملازمة إعطاء الفرصة للتقارب بين الطفل وأهله ورفع الكلفة وإجابة أسئلته بدون حرج أو مفاجأة .. بما فى ذلك ما يتعلق بالجنس . . .

ولكى لا يفاجأ الطفل بمنظر من مناظر الجنس بين الأبوين فقد أمر القرآن الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم أن يستأذنوا على أبويهم ثلاث مرات فى اليوم وهى الأوقات التى تعتبر عورات .. أما الأطفال البالغون فعليهم بالاستئذان فى كل وقت . . . وفى ذلك يقول تعالى « يا أيها الذين آمنوا

ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحـلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لـكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن . طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم » (سورة النور آية ٥٧ — ٥٨) .

ويأمر الاسلام بالتفريق بين الأخ وأخته فى المضاجع وذلك لقوله ﷺ « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع » (متفق عليه) وقد اختلف الفقهاء فى سن التفريق ويرى بعضهم أنه سن الخامسة ولكن هذا يتوقف على مدى وعى الطفل وإدراكه وتمييزه .

القرآن والتزاوج وعلم الأجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

علم الانسان ما لم يعلم

صدق الله العظيم

القرآن والتزاوج وعلم الأجنة

هناك أمور فى علم الأجنة ، تعتبر من البديهيات التى عرفها الإنسان الأول وتوصل إليها بالفطرة ، ولكن إذا دخلنا فى التفاصيل الدقيقة والمعلومات العلمية المفصلة لوجدنا أن الإنسان حتى عهد قريب جداً كان يتخبط فى علمه وتفسيراته وأنه قبل اختراع الميكروسكوبات المعقدة فى القرن العشرين كانت الإنسانية تعيش فى ظلمات الجهل والخطأ .

ومن هـذا يأتى إعجاز القرآن العلمى ، فقد جاءت تفاصيل الجنس والتناسل وتكون الجنين فى القرآن فى مواضع عديدة بحيث لو جمعت فى باب واحد لخرجنا منها بمعلومات وافية ما كان يمكن أن يدركها أو يعقلها إنسان القرن السابع الذى نزل فيه القرآن . وعلى مر العصور كان الفقهاء المسلمون يجتهدون فى تفسير تلك الآيات حسب علوم عصرهم ، بل إن الأطباء العظام أمثال الرازى وابن سينا والزهراوى قد اجتهدوا فى التفسير حسب علمهم . ولكن القرآن كان سابقا لكل هؤلاء بقرون طويلة . وفى هذه العجالة القصيرة سوف نشرح بعض الحقائق العلمية التى وردت فى القرآن الكريم فى هذا المجال . .

ولكن يجب أن نشير منذ البدائية إلى أهمية معرفة الأسرار البلاغية للغة العربية التى عبر بها القرآن تعبيرا إعجازيا عن المضمون العلمى . .

(أولا) نظرية التزاوج والزوجية :

يقول الله تعالى « وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى » (النجم ٤٥) .

ويقول أيضا « ومن كل شيء خلقنا زوجين » .

وفى لغة العلم هناك فارق بين التزاوج . . وبين الزوجية أو الازدواج — فالآية الأولى تتحدث عن التزاوج بين مذكر ومؤنث بمعنى التناسل لتكوين خلق جديد . . وهذه الظاهرة عامة على جميع المخلوقات الحية سواء كان إنسانا أم أم حشرة أم نباتا . . فهم جميعا يشتركون فى ظاهرة التزاوج ويخضعون لناموسها :

أما الآية الثانية فتتحدث عن ظاهرة الزوجيـــة أو الازدواج (Parity) فى طبيعة العناصر . . فكل عنصر من العناصر الموجودة فى الطبيعة فى هذا الكون بتكوين من اتحاد زوجين : هما الموجب والسالب . أو فى لغة الذرة من بروتون وإليكترون .. وإن بقاء هذا العنصر فى حالة ثبات واستقرار واكتسابه لخواصه المعروفة يتوقف على

حالة الزوجية أو الإتحاد بين الموجب والسالب ... ومن هنا كانت الآية الأولى تنص على التزاوج بين المذكر والمؤنث فى الأحياء وحدهم .. بينما الآية الثانية تنص على (من كل شىء) أى جميع عناصر الطبيعة الحية والميتة . . وقوله (زوجين) ولم يقل (ذكر وأنثى) ولم يقل (الزوجين) بإضافة الألف واللام للدلالة على الفارق بين التزاوج والزوجية

ثانيا : التزاوج فى النبات

يقول تعالى: « وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى » طه ٥٣ فالمعروف علميا أن جميع النباتات تتكون من مذكر ومؤنث .. وقد تكون أعضاء الذكورة والأنوثة فى النبات الواحد أو فى الزهرة الواحدة .

(٥) اللقاح فى النبات

يقول الله تعالى « وأرسلنا الرياح لواقح » الحجر ٢٢

فقد اكتشف العلم الحديث الكثير من المعجزات الآلهية فى دور الريح فى تلقيح النباتات ... فبعض النباتات تنطلق منه الأعضاء المذكرة وتكون لها أجنحة شبيهة بأجنحة الطيور وبعضها الآخر له ما يشبه المظلة أو (الباراشوت) وتنقلها

الريح .. إلى مسافات بعيدة قد تصل إلى بضعة كيلومترات.. ثم تهبط على الزهور المؤنثة من نفس النبات والفصيلة فتلقحها

(٥) الثمرة هي الجنين في النبات

يقول تعالى « ان الله فالق الحب والنوى » الأنعام ٦ — آية ٩٥ فالحبة أو الثمرة في النبات هي الجنين الذى يتكون من اتحاد المذكر بالمؤنث .. وهذا الجنين قد يتكون من جبة صلبة أو نواة فاذا نزل على الأرض وأصابه الماء انفلق الغطاء الصلب وخرجت منه الجذور إلى الأرض لكى تنبت نبتة جديدة وهكذا ..

ثالثا — نطفة الذكر في الانسان والحيوان :

— يتم التناسل في الحيوان والإنسان في صورة واحدة بشكل عام .

فالجنين يتكون من اتحاد حيوان منوى واحد مع بويضة واحدة ...

—وتتكون نطفة الذكر أى السائل المنوى من سائل لزج لا يزيد حجمه عن ٢ سم^3 ، .. ويسبح في هذا السائل بضعة ملايين من الحيوانات المنوية الدقيقة التي تتكون من رأس

وذيل وتتكون هذه الحيوانات في غـدة الخصية (ويبلغ عددها في النطفة الواحدة قرابة الثلاثمائة مليون) .

وهناك حقيقتان علميتان هامتان لم تكن أى منهما معروفة إلا في العصر الحديث جدا . الأولى أن الخصية موضعها الأول في جسم الإنسان هو في البطن على جانبي العمود الفقرى . وقبل الولادة تنزل الخصية من البطن في الشهر الثامن إلى كيس الخصية خارج البطن .. وفي بعض الأطفال قد يتأخر نزول الخصية بعد الولادة فيحتاج الأمر إلى عملية جراحية لانزالها إلى مكانها الطبيعي .

والحقيقة الثانية أن الحيوانات المنوية نوعان : نوع يحمل عنصر الذكورة ويرمز إليه برمز Y والآخر يحمل عنصر الأنوثة ويرمز إليه برمز X . فهذا الحيوان المنوى هو الذى يقرر نوع الجنين إن كان ذكرا أو أنثى عنـــد اتحاده بالبويضة .

هذه هي بعض التفاصيل العلمية التي ذكرها القرآن عن نطفة الذكر وهذه هي الآيات التي تضمنت تلك الحقائق العلمية :ـ

حبوب اللقاح فى أحد النباتات وقد تكونت لها
مظلة لتحملها الريح إلى أماكن بعيدة

(١) فقد جاءت كلمة النطفة فى اثنى عشر موضعا من القرآن بأوصاف مختلفة يكمل بعضها بعضا .. فمن ذلك قوله تعالى :

« ألم يك نطفة من منى يمنى » ٧٥ القيامة آية ٢٧

ويصفها بأنها من « ماء دافق » وأنها « من ماء مهين »

فكلمة النطفة التى استعملها القرآن تعبير لغوى عن الكمية القليلة جدا (٢ سم٣) .

وكلمة دافق تشير إلى تدفق الخلايا المنوية فى سباقها للوصول إلى البويضة فيقطع رحلة طويلة من المهبل إلى عنق الرحم إلى قاعدة الرحم ثم يدخل القناة المهبلية لتلقيح البويضة وقد قدرت هذه السرعة بثلاثة مليمترات فى الدقيقة الواحدة وهذه السرعة بالقياس إلى الحجم الميكروسكوبى الدقيق للحيوان المنوى تعادل سيارة منطلقة بأقصى سرعتها ...

(٢) ويذكر القرآن موضع الخصية فى البطن فيقول تعالى « فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » الطارق ٧

والصلب هو العمود الفقرى والترائب هو بيت الكلية .. وهذا هو موضع الخصية فى الجنين قبل خروجه من الرحم ..

٢ — ويحدد القرآن بصفة قاطعة أن الحيوان المنوى هو الذى يقرر الذكورة أو الأنوثة فيقول تعالى : —

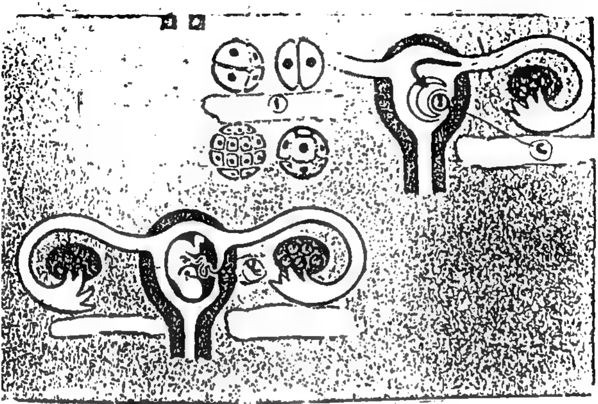

مراحل تكوين الجنين

١ — المشج .

٢ — العلقة .

٣ — القرار المكين فى الرحم .

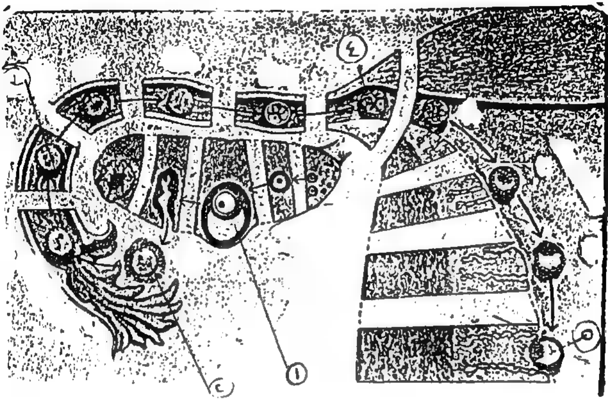

١ — البويضة بعد خروجها من البيض . .

٢ — البويضة تدخل قناة الرحم

٣ — القاء البويضة بنطفة الرجل وتكون المشج

٤ — دخول المشج إلى الرحم

٥ — تكون العلقة فى جدار الوحم وتعلقا به

« ألم يك نطفة من مني يمنى .: فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى » ٣٩ القيامة .

وغير خاف أن الإشارة فى قوله تعالى (فجعل منه) أى من المنى وهذا بعكس ما كان العرب يعتقدونه من أن بويضة الأنثى هى التى تحدد جنس الجنين . بل كان الاعتقاد السائد فى العـــالم حتى عصر قريب أن جنس الجنين . بل يظهر أثناء نموه فى الرحم وأن هناك نساء بطبيعة تكوينهن ينجبن فى أرحامهن إناثاً أكثر من الذكور .. وكن يتهمن بالشؤم وقد يطلقن ..

رابعاً : البويضة وتكوين الجنين رسمة رقم (٢)

لكى نفهم كلمات القرآن جيداً فلا بد هنا أيضاً أن نبدأ بالشرح العلمى .

فالجهاز التناسلى للأنثى يتكون ببساطة من مبيضين وكل مبيض متصل بقناة توصل البويضة التى يفرزها إلى الرحم وتسبح البويضة فى القناة باتجاه الرحم . بانتظار وصول حيوان منوى لتلقيحها .. فإذا لم يتم تلقيح البويضة فى مدة محددة فإنها تخرج مع الطمث وهكذا تتم الدورة الشهرية للمرأة .

أما إذا تلقحت البويضة (بالتقاء نطفة الرجل بنطفة المرأة) فيتكون من هذا (النطفة الأمشاج) وهى عبارة عن جنين فى أولى مراحله مكون من بويضة واحدة متحدة بحيوان منوى واحد ... فهذا المشج ينقسم إلى اثنين ثم أربعة ثم ثمانية خلايا وهكذا ويسمى علمياً (الزيجوت) وفى القرآن يسمى (المشج) وهو تعبير متناهى الدقة ، وتستغرق هذه المرحلة عشرة أيام.

وينتقل المشج بعد نموه إلى الرحم حيث يتحول إلى مايشبه العلقة فيلتصق بجدار الرحم فى ناحية القاعدة فى موضع علوى وخلفى ..

ومن الجدير بالذكر هنا أن مكان العلقة فى الرحم هو مكان محدد وثابت . وبدونه لايستمر الحمل . . فلو حدث التعلق فى القناة المهبلية أو فى أسفل الرحم لأدى الأمر غالباً إلى الإجهاض . ومن هنا أطلق عليه القرآن (قرار مكين) . وهذا تفصيل آيات القرآن التى ذكرت هذه الحقائق العلمية .

١ — يقول تعالى فى سورة الإنسان «إنا خلقنا الإنسان من نطفة « أمشاج نبتليه » وكلمة الأمشاج معناها أنه يتكون من خلط عنصرين مختلفين ببعضهما .. وهى المرحلة الأولى .

٢ — ثم تأتى بعد ذلك مرحلة العلقة التى يذكرها القرآن

فى أكثر من موضع فيقول تعالى « ثم خلقنا النطفة علقة » المؤمنون آية ١٤ .

ويقول « ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى » القيامة ٣٧ ، ٣٨ .

وكلمة العلقة تعبير لم يستعمل إلا فى القرآن ولم يوصف به الجنين من قبل فى اللغة العربية أو أى لغة أخرى . وهو تعبير علمى دقيق مطابق لمرحلة التعلق إذ أن الجنين تخرج منه امتدادات تلتصق بجدار الرحم حتى لا يسقط وهى أشبه بأسنان العلقة التى تمتص الدم من فوق سطح الجلد . أو بالنبتة الصغيرة التى تمتد جذورها فى الأرض . فإذا كان هذا التعلق ضعيفاً سقطت العلقة وانتهى الحمل رسمة رقم (٣) .

٣ — ويقول الله تعالى :

« ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين » المؤمنون آية ١٣ .

وهى إشارة واضحة ومحددة إلى المكان الخاص بتعلق الجنين . فكلمة (مكين) من التمكن والتحكم وكلمة (القرار) تعبير عن (المقر) الذى تستقر فيه البويضة بعد

اتحادها بالحيوان المنوى وهو كما أسلفنا مكان محدد وثابت فى قاعدة الرحم .

٤ — ويقول تعالى بعد ذلك :

« ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى» الحج آية ٥

فهذه العلقة تبدأ فى النمو والانقسام وتكبر فى تجويف الرحم. ويصف القرآن مدة الحمل بأنها (أجل مسمى) أى مدة محدودة ومعروفة . وتختلف هذه المدة فى الإنسان عنها فى الحيوان ، كما أنها تختلف بين فصائل الحيوانات ولكنها محددة فى كل فصيلة ونوع . ففى الفيل عشرون شهراً وفى الإنسان عشرة أشهر قمرية أى أربعون أسبوعاً وإذا نقصت عن ذلك فقد يحتاج الجنين إلى رعاية خاصة (مثل الحضانة) حتى يكتمل ، وإذا تأخر عن هذا الأجل المحدود قد يحتاج إلى عملية قيصرية لإخراجه حتى لايموت داخل الرحم .

خامساً — تطور الجنين فى الرحم :

يقول الله تعالى فى سورة المؤمنون آية ١٤

— ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » .

ويقول فى سورة الحج آية ١٢

— « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة . .

ويقول تعالى فى سورة الزمر آية ٦ .

— « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث .

هذه الآيات الأربعة زاخرة بفيض من الحقائق العلمية التى لم يكن أى منها معـــروفاً فى عصر نزول القرآن ، وقد استغرقت الإنسانية أربعة عشر قرناً من الزمان حتى توصلت إلى بعض هذه الحقائق وما تزال هناك أمور أخرى كثيرة تشملها الآيات القرآنية ولم يصل علمنا إلى تفسيرها ، وهذا هو شرح لهذه الآيات : —

١ — يذكر القرآن أن الجنين يتطور فى الرحم (خلقا من بعد خلق) وهو نفس النص الذى يستعمل فى العلم الحديث STAGES أى مراحل تطور الجنين فكل مرحلة لها توقيت معين محدود ينمو فيه جهاز جديد من أجهزة الجسم . . وتتشابه المراحل الأولى فى جميع الحيوانات . . ثم تبدأ الأجهزة الجديدة تتكون وهى التى تمـــيز حيوانا عن آخر ومرحلة عن التى تليها .

٢ — ويصف القرآن المراحل الثلاث الأولى بأنها (نطفة ثم علقة ثم مضغة) وقد تكلمنا عن النطفة ثم العلقة ونتحدث

الآن عن المضغة وهو الطور المسمى فى كتب العلم الحديثة (Mulbry Stage) وهى كلمة لاتينية معناها الجنين التوتى لأن شكل الجنين فى هذه المرحلة يكون كحبة (التوت)من حيث وجود بروزات وتجاويق على سطحها ....

والواقع أن التعبير القرآنى أدق لأن الجنين يشبه قطعة اللحم الممضوغة بالأسنان فتظهر عليها البروزات والفجوات مكان المضغ وهو وصف أقرب إلى الحقيقة . وهذه التجاويق هى التى ستكون فيما بعد أجهزة الجسم وأعضاءه

٣ — ويذكر القرآن فى وصف المضغة (من مضغة مخلقة وغير مخلقة) وتفسير ذلك أن الجنين فى أطوار نموه يكون غير متناسق فى أحجام أجزائه . فبعض الأجزاء (كالرأس) يبدو أكبر من حجمه بالنسبة إلى باقى الجسم وأهم من هذا أن بعض هذه الأعضاء يتخلق قبل الآخر بل يكون الجزء الآخر لم يتخلق بعد .. وعلى سبيل المثال فان الرأس يتكون قبل أن تخلق الأطراف كالذراعين والأرجل وهذا بلا شك إعجاز علمى فى القرآن .

٤ — ويشير القرآن إلى حقيقة تشريحية فى العلم . وهى أن النسيج العظمى فى الجنين يتكون أولا ثم يليه النسيج العضلى ثم يلى ذلك السمع والبصر .

« فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما » والمقصود

باللحم هو العضلات وهى تتكون فى مرحلة أو طور متأخر بعد النسيج العظمى . ثم يقول بعد ذلك « فجعلناه سميعا بصيرا » إشارة إلى أن السمع والبصر فى آخر المراحل ..

٥ — والعلم الحديث يقول أن جنين الانسان يمر بعدة مراحل فى خلقه . فهو يكون أولا شبيها بالأسماك ثم يصبح شبيها بالبرمائيات ثم يشبه البريات كالقرد ثم يصبح خلقاً آخر شبيها بالانسان الكامل فى المرحلة الأخيرة . . وقدنص القرآن على مراحل تخلق الجنين فذكر أنها (خلقا من بعد خلق) ثم نص على أن المرحلة الأخيرة هى خلق آخر فقال (ثم أنشأناه خلقا آخر) .

٦ — ويصف القرآن تطور الجنين فى داخل الرحم بأنه يتم (فى ظلمات ثلاث) وقد احتار المفسرون الأولون فى معرفة المقصود بهذا التعبير القرآنى وقد فسرها بعضهم بأنها ظلمة الرحم ثم ظلمة الحياة ثم ظلمة القبر .. وهذا بعيد جدا عن الآية لأن القصد منها هو مرحلة داخل الرحم فقط ..

ومن علم التشريح الحديث نستطيع أن نقول أن المقصود بها الأغشية الثلاثة التى اكتشف العلم الحديث أنها تحيط بالجنين أثناء مراحل نموه وهى :—

Amnion, Chorion, Allantois

وهو أقرب إلى النص القرآنى .

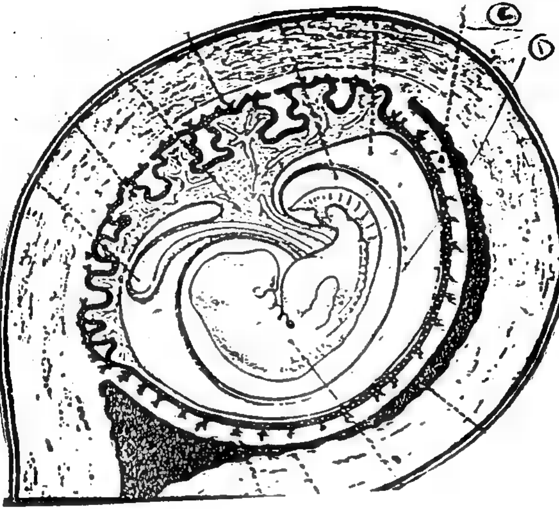

الظلمات الثلاث :

أو الأغشية المحيطة بالجنين أثناء نموه .

سادساً :

وقبل أن نختتم هذا البحث يجب الإشارة إلى حقيقة هامة اعتقد كثير من العلماء أن هناك تناقضا فيها بين القرآن والعلم .

الحقيقة العلمية تقول : أنه تم اكتشاف طريقة علمية حديثة لمعرفة نوع الجنين فى بطن أمه قبل ولادته إن كان

ذكرا أم أنثى ، وذلك عن طريق فحص مخبرى للسائل الأمنيوتى Amniotic Fluid المحيط بالجنين وقد تطورت هذه الطريقة وأمكن ذلك عن طريق فحص لعاب الأم .

ويعتقد بعض الفقهاء المسلمين أن هذا أمر يتعارض مع القرآن الذى يذكر إن معرفة نوع الجنين فى الرحم هو من أمور الغيب التى لايعلمها إلا الله تعالى ولا يمكن لأى بشر معرفتها ، وهم يحتجون فى هذا بقوله تعالى : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو » الأنعام ٦ آية ٥٠ .

وقوله تعالى : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » آل عمران ١٩٠٧ — فيربطون بين هذا وما جاء فى سورة لقمان آية ٣٤ . « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيب ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير » .

— فقد فسر بعض الفقهاء قوله تعالى : « ويعلم ما فى الأرحام » (أنه معرفة أن كان ذكرا أم أنثى . وهذا هو الخطأ الأول لأن الآية لم تنص على ناحية الذكوره أو الأنوثة ولكنها معرفة مطلقة فقد تكون معرفة الله تعالى بمستقبل هذا الجنين وبأخلاقه وطباعه وسلوكه ومصيره عندما يصبح إنسانا كاملا . وهو أمر لا يعلمه إلا الله .

— كذلك ربطوا بين معنيين وردا فى سورتين مختلفتين

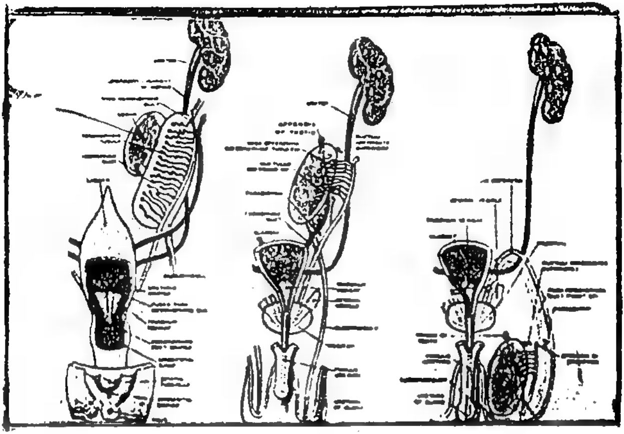

رسمة تبين مراحل نزول الخصية فى الجنين من مكانها الأول فى البطن إلى مقرها الطبيعى خارج البطن قبل الولادة .

وفى موضوعين مختلفين . الأول فى سورة الأنعام بقوله تعالى « لا يعلمها إلا هو » والثانى فى سورة لقمان بقوله تعالى « ويعلم ما فى الأرحام » وفسروا ذلك بأنه لا يمكن للبشر أن يعرف نوع الجنين فى بطن أمه وهذا خطأ فى التفسير وتحميل للآيات أكثر مما تحتمل .

وقد لزم التنويه بهذه الحقيقة الهامة لأن كتب الدين التى تدرس فى مدارس الأطفال تنص على أن مفاتح الغيب خمسة منها معرفة نوع الجنين فى بطن أمه ولا يمكن البشر أن يعرفها والواجب علينا إصلاح هذه الفقرة فى كتب الدين لأن الخطأ فى تفسيرنا وليس فى الآية نفسها .

(٤) الزواج

فى نظر الاسلام والديانات الأخرى

بسم الله الرحمن الرحيم

« ومن آياته »

« أن خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا إليها »

« الروم ٣١ »

الزواج

فى نظر الاسلام والديانات الأخرى

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (الروم ٢١)

يختلف الإسلام عن المسيحية فى نظرتهما إلى الزواج اختلافا جذريا . فالاسلام يعتبر الزواج أمرا ضروريا للحياة الطبيعية الصحية ولكمال الدين ويعتبر الحيـــاة المثالية هى الحياة الزوجية .

بينما المسيحية ترى ان الحياة المثالية هى الرهبنة والبعد عن النساء والجنس إلا لمن لا يقـــدر على ذلك ويخشى من الزنا .

وقد جاء فى إنجيل متى ١٩ : ١٣

« يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد

خصيان خصاهم الناس . ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات من استطاع أن يفعل فليفعل » .

وجاء فى كورنتوس الأولى ٧ : ١ ٢ (بولس)

« حسن للرجل ألا يمس امرأة ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ولكل امرأة رجلها . وأقول لغير المتزوجين والأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا ولكن إذا لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج اصلح من التحرق فى النار بسبب الزنا » .

« إن قصارى ما يحققه الزواج ان يعصم الفرد من الخطيئة على حين التبتل يروض المرء على أعمال القديسين ويذلل له السبيل إلى منزلة الاشراف ويتيح له أن يأتى بالمعجزات » .

هذه هى النظرة المسيحية إلى الزواج ، وقد نتج عن ذلك أن تكونت عن المسيحية مذاهب تحرم الزواج بتاتا كمذهب المزسيون Mersions الذى ظهر فى القرن الثانى للميلاد وحرم الزواج بتاتا وحتم على معتنق المذهب أن يطلق زوجته قبل الدخول فيه .

وبعكس ذلك جاء الاسلام فاعتبر الزواج مكملا لدين الإنسان ، فلم يكتف بتشجيع الزواج بل أمر به لمن أمكنه من المسلمين ، واعتبر التبتل أو اعتزال النساء نوعا من النفاق

الذى يصل إلى حـد الكفر بأنعم الله . وفى ذلك يقول (ﷺ) :

« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه اغض للبصر وأحصن للفرج » متفق عليه وقد نهى الاسلام عن التبتل (أى الانقطاع عن النساء) واعتبر الزواج من سنة الله ورسوله وفى ذلك يقول ﷺ .

« من كان موسرا لأن ينكح ثم لم ينكح فليس منى » رواه ابن ماجه .

أى أن من لديه القدرة المالية على مسئوليات الزواج والأسرة ونفقاتها ثم لم يتزوج فلم يعمل بسنة الله ورسوله .

ويعتبر الاسلام أن الزواج نصف الدين بفضل ما يهيئه للمتزوج من العفاف والاستقامة والتفرغ لخدمة الناس وعبادة الله . وفى ذلك يقول رسول الله « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله فى الشطر الباقى » (رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم) .

ويرى الاسلام إن أعظم متعة للانسان فى دنياه هى أن يوهب زوجة صالحة وفى ذلك يقول الرسول : « إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شىء أفضل من المرأة الصالحة » . أخرجه مسلم والنسائى وابن ماجه .

ويقول أيضا « الدنيا متاع ومن خير متاعها امرأة تعين زوجها على الآخرة : مسكين مسكين رجل لا امرأة له .. مسكينة مسكينة امرأة لا زوج لها قالوا وإن كانت كثيرة المال ؟ قال وإن كانت كثيرة المال (رواه عبد الله بن عمرو بن العاص اخرجه رزين)

ويعتبر الاسلام الرجل الذى يسعى للزواج كالمجاهد فى سبيل الله وحق على الله والناس أن يعينوه على غرضه الشريف .. وفى ذلك يقول رسول الله « ثلاثة حق على الله عونهم .. المجاهد فى سبيل الله .. والمكاتب الذى يريد الآداء والناكح الذى يريد العفاف »

رواه الترمذى عن أبى هريرة

ويأمر الاسلام المسلم بالسعى على تزويج اليتيمة والفقيرة والضعيفة والمملوكة وكل من لا حول لها ولا معين من الناس . وفى ذلك يقول الرسول : « من كانت عنده جارية فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها أو زوجها فله أجران » (البخارى) .

ويعظم الله أجر من يسعى فى تزويج أخيه المسلم فى الحلال ومن يمشى بالصلح بين امرأة وزوجها فيقول رسول الله :

« من مشى فى تزويج رجل حلالا حتى يجمع بينهما رزقه الله من الحور العين وكان له بكل خطوة خطاها أو كلمة تكلم بها فى ذلك أجر عبادة سنة قيام ليلها وصيام نهارها ومن مشى فى صلح امرأةوزوجها كان له أجر ألف شهيد وكان له بكل خطوة أجر عبادة سنة صيامها وقيامها .

(رواه أبو هريرة وابن عباس) .

وفى رواية أخرى يقول (صلعم) :

« إن من أفضل الشفاعات أن تشفع بين الاثنين فى الزواج حتى تجمع بينهما » .

(الطبرانى وابن ماجه) .

وجميع الديانات السابقة للاسلام كانت تنظر إلى المرأة على أنها صورة للشيطان ورمزا للخطيئة وجالبة للشؤم . وفى هذا يقول القديس (ترتوليان) أحد أقطاب المسيحية الأولى عن المرأة :

« انها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان . وانها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة ناقضة لقانون الله . ومشوهة لصورة الله أى الرجل » .

وكان اليهود وعرب الجاهلية يحملون نفس الأفكار عن المرأة ويعتبرونها جالبة للنحس والشؤم .

وقد جاء الإسلام ليحارب هذه الأفكار الظالمة الهادمة للمجتمع فنفى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن المرأة أن تكون مصدرا للشؤم . وفى ذلك يقول (صلى الله عليه وسلم) لاشؤم . وقد يكون اليمن فى ثلاثة : فى المرأة والفرس والمسكن !! رواه ابن ماجه .

وجاء رجل إلى أم المؤمنين عائشة فقال سمعت أبى هريرة يقول : إن رسول الله قال : الشؤم فى ثلاثة فى المرأة ، والفرس والمسكن !! فقالت من توهاً :

« لم يحفظ أبو هريرة لأنه دخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . قاتل الله اليهود ، يقولون الشؤم فى ثلاثة فى المرأة والفرس والمسكن؟؟ فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله »(١) لأبى داود رواه أحمد .

وفى الدول الراقية والناهضة فى عصرنا الحديث ينظرون إلى الزوجة الحامل نظرة إجلال واحترام ، ويعتبرون مجرد حملها لجنينها جهاداً فى سبيل الوطن ومساهمة منها فى قوته

---

(١) المطالب العالية بالزوائد الثمانية ص ٢ ، ص ٧ باب شؤم المرأة .

وإعلاء شأنه بإضافة مواطن جديد ، فتراهم يوسعون لها الطريق قبل غيرها ويعطونها مقاعدهم فى المواصلات ويفسحون لها فى الزحام ، وقد سبق الإسلام كل هذه الاتجاهات فى تقديره للزوجة الحامل . فرسول الله يقول :

« إن المسلمة إذا حملت كان لها أجر القائم الصائم المحرم المجاهد فى سبيل الله فإذا وضعت فإن لها من أول رضعة أجر حياة نسمة . (لأبى يعلى) (١) .

ويقول أيضاً : « إن للمرأة من حملها إلى وضعها إلى فصالها من الأجر كالمتشحط فى سبيل الله فإن هلكت فيما بين ذلك فلها أجر شهيد » . (عن ابن عمر) .

هذه نظرة الإسلام إلى الزواج نظرة التشجيع والإكبار والاحترام وهى نظـــرة تؤيدها جميع العلوم الإنسانية فى عصرنا الحديث إذ تعتبر أن الزواج هو بداية المرحلة الفعالة والمنتجة فى حياة كل إنسان وإن الإنسان لكى ينجح فى حياته العامة فلا بد أن ينجح أولا فى الحياة الخاصة أى الحياة الزوجية .

فعلم الاجتماع يعتبره ضرورة لبناء المجتمع السليم المنتج المتعاون على الخير والمودة والخلق الكريم .

---

(١) ج ٢ المصدر السابق .

وعلم الاقتصاد يعتبره ضرورة للاستقرار فى العمـل والإنتاج المادى والفكرى .

وعلم الطب يعتبره الخطوة الأساسية نحو حياة جنسية سليمة خالية من الأمراض النفسية والذهنية والتناسلية ولإنجاب نسل صحى سليم .

ومن هنا فقد وضع الإسلام قواعد دقيقة ومتطورة لاختيار الزوجة ، فلم يهمل فى هذا الأمر الناحية العاطفية والانسجام الروحى ولم يغفل أهمية التعارف والتفاهم قبل الزواج ، واهتم بالعوامل الاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية فى اختيار الزوجة ثم اهتم بعـد هذا كله بالنواحى الطبية والجنسية والوراثية .

وسوف نشرح كل واحدة من هذه الحقائق وخاصة موضوع الحب والاختلاط وآداب الخطوبة .

(٥)   الخطوبة واختيار الزوجة فى الإسلام :

حديث شريف

« تخيروا لنطفكم .. فانكحوا الاكفاء
وانكحوا إليهم »

(رواه الحاكم والبيهقى)

الخطوبة واختبار الزوجة فى الإسلام

لقد وضع الإسلام للخطوبة آداباً راسخة وتقاليد أخلاقية رفيعة : —

١ — وأول هذه التعاليم قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

« أعلنوا النكاح وأخفوا الخطبة » : رواه الديلمى فى الجامع الصغير .

ولهذا الحديث حكمة عظيمة لايقدرها إلا بعيد النظر ...

فالملاحظ فى عصرنا الحاضر أن الكثير من العـائلات المسلمة إذا أعلنت الخطوبة بالغت فى الأفراح . وفى حفل الخطوبة ومايتبع ذلك من نفقات باهظة : وربما أعلنوا ذلك فى الصحف .. فى حين أن هذه المرحلة لا تعدو كونها فترة تعارف مبدئى. وقد تنتهى بالوفاق أو بالفراق . . فإذا حدث الفراق بعد هذه المظاهر والإعلان والمصاريف يبدو وكأنه كارثة حلت بالأسرتين وخاصة بالفتاة وأسرتها .. وقد يؤدى

الأمر إلى العداوة والخصومة بين الأسرتين ومن هنا كانت نصيحة الرسول صلى الله عليه وسلم بإخفاء الخطبة . . وليس القصد بالإخفاء هنا هو إنكارها .. بل القصد به عدم المبالغة فى الأمر وإعطائه أكثر مما يستحق من الإعلان والاهتمام: أما كتب الكتاب أو عقد الزواج فهو الذى يستحسن بل يجب فيه العلن والأفراج ولكن أيضا بغير مبالغة ولا إسراف « إنه لا يحب المسرفين » .

١ — ومن تعاليم الإسلام أن لا يخطب المسلم على خطبة أخيه إذا كانت خطبة شرعية ومعلنة وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « المؤمن أخو المؤمن فلا يحل له أن يبتاع على بيع أخيه أو يخطب على خطبة أخيه حتى يذر » (رواه مسلم وأحمد) .

وأسوأ من هذا من يفسد امرأة على زوجها ويحثها على الطلاق ليتزوجها فالرسول يقول « ليس منا من خبب أسرأة على زوجها » .

٢ — وقد نهى الإسلام عن غش الخاطب أو خداعه باخفاء عيوب خطيبته أو عيـــوب أهلها عنه . . وكذلك بالنسبة للشاب عليه أن لا يخفى عيوبه عمن يتقدم لخطبتها فرسول الله يقول : من غشنا فليس منا :

وعن أسماء قالت : « جاءت امرأة إلى النبى ﷺ ،

فقالت : يا رسول الله أن لى ابنة عريسا أصابتها الحصبة وتمرق شعرها أفأصله فنهاها الرسول وقال لها :

« لعن الله الواصلة والمستوصلة » رواه مسلم .

ومعنى الحديث أن الفتاة قد أصيبت بالحصبة فى طفولتها فسقط شعرها ولما أصبحت فى سن الزواج وجاءها الخطاب أرادت أمها أن تخفى عيبها فنهاها الرسول عن ذلك لأنه غش للخاطب .

٣ — أوجب الإسلام على الشاب المسلم أن ينظر بنفسه إلى المرأة التى يريد أن يتزوجها نظرة فاحص مدقق حتى لا يفاجأ بما لا يرضاه بعد الزواج . . كما نهاه عن الاكتفاء بكلام الناس أو ارسال أهله وأقاربه أو خاطبة لرؤية الفتاة التى ستكون شريكة حياته كما كان يفعل الناس فى الجاهلية .

روى البخارى أن المغيره بن شعبه جاء إلى رسول الله وقال له : أنه قد خطب فتاة من الانصار « فقال له الرسول : هل نظرت إليها ؟ فقال الصحابى : لا فقال الرسول : « إذهب فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » ويقول المغيره فذهبت إلى أهل الفتاة وأخبرتهم بقول رسول الله فكأنهم كرهوا ذلك لأنه لم يكن من تقاليد العرب فى الجاهلية ، ولكن الفتاة سمعته فخرجت من خبائها وقالت

له « إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر فانظر وإلا فأنشدك الله »

كأنها أعظمت ذلك ، قال : فنظرت إليها فتزوجتها » رواه الخمسة .

ومعنى أحرى أن يؤدم بينكما أن تعيشا فى وفاق ومحبة لا أن تكتشف عيوبها بعد الزواج ثم تطلقها .. وقد بلغ من حرص الرسول على تنبيه الخاطب إلى العيوب التى قد يجدها فى فتاته فيقول لأحدهم :

« إذهب فانظر إليها فان فى عيون الأنصار شيئا »
(رواه مسلم والنسائى) التاج ٣١٧/٢

وقد توسع الإسلام فى إباحة النظر لمن يريد أن يتزوج بحيث سمح له أن يرى منها أى شىء يغريه بنكاحها واشتهائها فيقول الرسول :

« إذا خطب أحدكم المرأة فقدر أن ينظر منها بعض ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل » وجاء فى روايه أخرى قوله : « وان كانت لا تعلم »
(رواه أبو داود والشافعى : التاج ٣١٧/٢)

وقد فسرها بعض فقهاء الإسلام بالإذن له أن يراها فى

الصورة التى تظهر بها فى بيتها لذوى المحرم كأمها وأبيها أى بغير الحجاب الذى يخفى الشعر والذراعين: وقال : بعضهم بجواز النظر إلى جميع البدن وإلى لحم بدنها .

ويروى أن الخليفة عمر بن الخطاب خطب إلى على بن أبى طالب ابنته أم كلثوم فاتفقا على أن يرسلها إلى عمر لتوصل إليه هدية دون أن تدرى بشىء .: وأمر على ببرد (ثوب) فطواه وقال لابنته انطلقى بهذا إلى أمير المؤمنين فقولى له :

أرسلنى أبى بهذا البرد إليك فان رضيت به فأمسكه (أى احتفظ به) وإن سخطته فرده . فتطلع إليها عمر وأخذ يحدثها .. ثم قال لها « بارك الله فيك وفى أبيك قد رضينا) فعادت إلى أبيها متعجبه وقالت : ما نشر البرد وما نظر إلا إلى أنا ، وهكذا زوجه إياها بعد إذنها (عيون الأخبار)

وتذكر تلك المراجع أن عمر بن الخطاب فاجأها بأن كشف عن ساقيها ليراهما فقالت له : لولا أنك أمير المؤمنين لصككت عينك ، وبديهى أن عمر بن الخطاب (٢) العالم الفقيه ما كان يفعل ذلك لولا علمه أنه رخصة من الله فى هذه الحالة .

---

(١) فقه للسنه جـ ٩ ص ٥٤ طبعة دار البيان الكويت سنة ١٩٦٨ .

(٢) المرجع السابق .

٤ — وكما أذن الإسلام للرجل أن يتزوج بمن يحبها ويرضاها من النساء فقد أعطى المرأة أيضا هذا الحق .. وأوجب على ولى أمرها استأذانها فى زواجها سواء كانت بكرا أم ثيبا صغيرة فى السن أم كبيرة ... ويشترط الحصول على رضاها بغير ضغط ولا إكراه (كما كان يفعل أهل الجاهلية وبعض الأسر الجاهلة فى عصرنا الحاضر) فإذا اكرهت على ذلك اعتبر الزواج باطلا فى شرع الله ...

فقد جاء فى البخارى أن الخنساء بنت جذام جاءت إلى رسول الله ﷺ وقالت : يارسول الله ... إن أبى تعدى على وروجنى بمن لا أرضاه .. فقال لها الرسول : فهل تجيزين ما صنع أبوك ؟

قالت مالى رغبة فيما صنع أبى .

فقال الرسول ﷺ : إذا لا نكاح له .. فانكحى من شئت »

وكان أبوها قد جاءه ابن عمها ففضله على الشاب الذى تحبه وهو لبابه بن المنذر فقضى الرسول بطلاقها من ابن عمها الذى لا تحبه وزوجها أبا لبابه (رواه البخارى وابن ماجه)

وهذا هو الامام بن القيم الجوزى المتوفى سنة ١١٣٥ م يتحدث عن حق المرأة فى الإسلام فيقول :

« إن البكر العاقل الرشيدة لايتصرف أبوها فى أقل شىء من ملكها إلا برضاها ، ولا يجبرها على إخراج اليسير منه بدون رضاها .. ومعلوم أن إخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره بغير رضاها » .

فتصور أن الفقه الاسلامى منذ قرون من الزمان ينص على حق المرأة فى اختيار الزوج الذى تحبه وتفضله ويعتبر تزويجها بغير رضاها باطلا فى حين أن بعض الآباء فى القرن العشرين ما زال يزوج بناته بغير رضاهن ويجبرهن على ذلك.

٥ — ولكى يحفظ الإسلام للزواج قدسيته ويصونه من العبث فقد نهى المسلم نهيا قاطعا عن اللهو واللعب بكلمه الزواج .. وإذا وعد المسلم فتاة بالزواج منها فليس من حقه أن يتراجع أو يتهرب بحجة أنه كان يقصد اللعب والمزاح وأكثر من هذا إذا كان الرجل متزوجا ثم تفوه بكلمة الطلاق فليس من حقه أن يتراجع بحجة أنه كان يمزح .. وفى هذا يقول رسول الله ﷺ ..

« ثلاثة ليس فيهن لعب .. من تكلم بشىء منهن لاعبا فقد وجب عليه الطلاق والعتاق والنكاح »

(متفق عليه) .

الزواج بالبكر والثيب :

ويحث رسول الله الشباب المسلم على التزوج بالشابة البكر وذلك بهدف مكافحة العنوسة بين البنات .. وفى ذلك يقول الرسول ﷺ :

« عليكم بالابكار فانهن أكثر حبا وأقل ضحا » (رواه مسلم) .

ويقول لصاحبه « ألا من بكر تداعبها وتداعبك » وفى روايه أخرى تضاحكها وتضاحكك وقيل أيضا « فهلابكرا تعضها وتعضك » .

(أخرجه ابن ماجه ومسلم والنسائى)

وفى نفس الوقت فإن الإسلام لم ينس الأيم أى التى سبق لها الزواج وطلقت أو توفى زوجها . . وشجع المسلم على زواجها وجعل ثوابه من إعالتها وأولادها عظيما .. وقد خص القرآن الأيم بوصيته فقال الله تعالى :

« وانكحوا الأيامى منكم »

ومعروف أن جميع زوجات الرسول ﷺ ماعدا عائشة كن أيامى وأول زواج له فى شبابه كان من السيدة خديجة فكانت لديه أفضلهن .. رلم يتزوج عليها حتى ماتت ..

وكان من زوجاته الأخريات من توفى عنها زوجها فى الجهاد معه .. ومنهن من كانت عجوزة مدبرة لا تصلح للرجال وهذا وحده يبين لنا أحد الأهداف النبيلة للزواج فى الإسلام .

— ولا يترك الإسلام أمره بالزواج مطلقا .. فهناك من لا يقدر عليه لظروفه المادية وهؤلاء يقول الله تعالى لهم :—

« وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » .

ورسول الله يقول : « ومن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له خير وجاء » وذلك لأن الصوم يكسر من شدة الغريزة الجنسيه (رواه مسلم)

— ولكى ييسر الله على المعسرين بالزواج فقد أمر الإسلام العائلات المسلمة الكريمة أن لا تنظر إلى المادة فى تزويج بناتها وأبنائها بل ينظرون أولا إلى الدين والخلق وفى ذلك يقول تعالى : « إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم » .

والرسول يقول : « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض»

(رواه للترمذى)

ويقول : « تنكح المرأة لمالها وحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك »

(أخرجه الخمسة إلا الترمذى)

٩ — **العوامل الوراثية والطبية :**

يحث الإسلام على مراعاة العوامل الوراثية فى اختيار الزوجة . . وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » رواه ابن ماجه .

ويقول أيضاً «تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم » رواه الحاكم والبيهقى .

ومن وسائل الحيطة وحسن الاختيار إجراء الفحص الطبى قبل الزواج : وهو يشمل عمل الأشعة على الصدر لاستبعاد السل . . وفحص الدم لعامل روسوس (Rh) وللزهرى، والسكر وفحص المنى للحيوية أو العقم . وغير ذلك من الفحوصات الحيوية التى يجب أن لايتهاون الزوجان المسلمان فى إجرائها حتى تنشأ حياتهما على غير غش ولا خديعة .

٢ — وقد اكتشف علم الوراثة أن الكثير من الأمراض والعاهات ينتقل إلى الأبناء من جيل إلى جيل . . ومن هذه الأمراض الكثير من الأمراض العقلية كالشيزوفرنيا كما لوحظ

أن مرض السكر يسرى فى عائلات معينة وكذلك الزهرى الوراثى ومرض نزيف الدم (Haemophelia) والتشنجات العصبية .

وكثير من العاهات الجسمية ينتقل بالوراثة ومنها الحول والصلع وقصر النظر الشديد واللعثمة فى الكلام وعمى الألوان .

٣ — وقد أثبت العلم أن الكثير من الأمراض الأخلاقية أيضاً يمكن أن ينقل بالوراثة : ومن هذه الأمراض إدمان المخدرات وإدمان الخمر ومنها اللواطة والانحرافات الجنسية ومنها الميل إلى الشر والاجرام . ويعلل الطب هذه الأمراض بأنها ترجع إلى اضطراب فى الهرمونات ولهذا للسبب قد تنتقل بالوراثة . وفى هذا يقول رسول الله :

« إياكم وخضراء الدمن . . فإنها تلد مثل أبيها وعمها وخالها » قالوا ما خضراء الدمن : قال : المرأة الجميلة فى منبت السوء » (رواه الدارقطنى والواقدى)

٤ — وقد حرم الإسلام زواج الأخوة فى الرضاعة إذا زادت الرضعات عن عشر رضعات لأن هذا يجعل الأخوة مثل أخوة الدم وزواج الأخوة ينتج نسلاً ضعيفاً وقد يكون مشوهاً . .

٥ — ويكره الإسلام زواج الأقارب وفى ذلك يقول عمر رضى الله عنه « لا تزاوجوا الأقارب فتضوا » أى يضعف نسلكم . .

وقد أثبت علم الوراثة أنه كلما زادت صلات القرابة العائلية بين الزوجين كلما زاد احتمال انتقال عيوبهما الجسمية والخلقية إلى الأولاد .

وفى نفس الوقت فكلما بعدت صلات الدم بينهما فان إنتاجهما تظهر فيه الحسنات دون السيئات .. مثال ذلك إذا كان الأب أحولا والأم قصيرة النظر فان أطفالهما يجمعون بين الحول وقصر النظر . إذا كان الزوجان على صلة قرابة قوية.

أما إذا بعدت صلات الدم بينهما وخاصة إذا كان الزوجين من جنس مختلف (كأن يكون الأب عربيا والأم أجنبية) فان الأطفال غالبا ما ينجون من ظهور العاهتين .

٦ — وقد نهى الإسلام عن ثلاثه أنواع من النساء ...

(أ) المجنونة لأنها لاتحتمل المسئوليـــة وقد تورث الجنون لأولادها .

(ب) المريضة مرضا مزمنا ومعديا ولايرجى لها الشفاء منه كالجذام والبرص .

(ج) والعقلاء أى التى فى جهازها التناسلى عاهة خلقية

تمنع النكاح والخلفة وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربع لا يجزن فى النكاح المجنونة والمجذومة والبرصاء والعفلاء »
(أخرجه ماالك)

وجاء فى السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج من امرأة من غفار فلما خلا بها وجد بكشحهابياضا فأمرها أن تجمع عليها ثيابها ثم ردها إلى أهلها ..

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

« ايما امرأة غر بها رجل بها جنون أو جذام أو برص فلها المهر بما أصاب منها وصداق الرجل علمى من غرة » .
(أخرجه مالك)•

(٧) ومما ينسب إلى بعض فقهاء الإسلام قولهم :

« لاتتزوج شهبرة ولا نهبرة ولا هندره ولاهبرزه » والشهبره هى الزرقاء البدينـــة وواللهبره الطويلة المهزوله والشهبره العجوز المدبره والهبزرة القصيرة الدميمة ..

(٨) وأخيرا فان رسول الله يصف للمسلم المؤمن الزوجة المثالية فيقول صلى الله عليه وسلم :

« ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته . . وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » .

(متفق عليه)

(٦)   الإسلام وعاطفة الحب

بسم الله الرحمن الرحيم

« وجعل بينكم مودة ورحمة »

« سورة الروم ٢١ »

الإسلام وعاطفة الحب

يدعي كثير من أعداء الإسلام أنه دين شهوة . وأنه قد اهتم فى تشريعاته للزواج بالجانب الجنسي وحده . وهذا جهل كبير بحقيقة هذا الدين فالإسلام كدين عملى وواقعى قد اهتم بالحب بين الرجل والمرأة . بل لقد اعتبره شرطاً لإقامة الحياة الزوجية من بدايتها ثم شرطاً لاستمرارها ودوامها ولذلك حث المسلم والمسلمة على الالتقاء وتدقيق النظر والتعارف قبل الإقدام على الزواج لاستكشاف عواطفهما ومشاعرهما . كما نهى المسلم أن ينظر إلى المادة والمال أو حتى إلى الحسب والنسب فى زواجه أو أن يجعلها فى المكان الأول لاختيار الزوجة ، بل أمره أن ينظر إلى المحبة والمودة أولا ، فرسول الله يقول : « تزوجوا الودود الولود » ومعنى الودود التى تشعركم بالود والمحبة ، والله تعالى يصف الحب فيقول : « وجعل بينكم مودة ورحمة » ويقول أيضاً « وجعل منها زوجها ليسكن إليها » الإعراف ١٨٩ .

فهذه التعبيرات الإسلامية « المودة والرحمة — والسكن والود » هى كناية عما نسميه فى عصرنا الحاضر بالحب العاطفى والانسجام الروحي والفكرى . ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصف الحب الروحى فيقول :

« الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » رواه مسلم وابن حنبل . ويقول (صلى الله عليه وسلم) « إذا تماسك الزوجان بأيديهما سقطت ذنوبهما من بين أيديهما » .

وكان رسول الله لا يخفى حبه لزوجته عائشة فقد سئل « أى الناس أحب إليك يارسول الله » فقال : عائشة « فقيل ومن من الرجال » : قال : أبوها (متفق عليه) .

ورغم عدله المطلق بين زوجاته فى كل ما يستطيعه ويقسمه فقد كانت عائشة أحب نسائه إلى قلبه وكان يقول « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولاأملك » رواه الخمسة .

كان بعض الأباء فى الجاهلية إذا علم أن ابنته تحب شاباً رفض تزويجها له ، وقد نهى الإسلام عن ذلك وأمر بتزويج المحبين والجمع بينهما فى الحلال ، وعدم التفريق بينهما بسبب التقاليد أو الطمع فى المال أوالجاه أو غيره فقد روى عن ابن عباس « جاء جماعة إلى الرسول قائلين يارسول الله عندنا يتيمة جاءها خاطبان موسر ومعسر ونحن نهوى الموسر وهى تهوى المعسر فأيهما نزوجها . فقال الرسول : « لم ير للمتحابين مثل التزويج » وقضى أن تتزوج بمن تحبه » أخرجه مسلم وابن ماجه والنسائى .

والإسلام هو الدين الوحيد الذى يعتبر الحب والوفاق شرطاً لاستمرار الحياة الزوجية .

— كانت جميلة بنت عبد الله لاتحب زوجها الصحابى الجليل ثابت بن قيس فجاءت رسول الله قائلة :

« يارسول الله . لا أنا ولا ثابت يجمع رأسى ورأسه شئ . . والله ما أعتبه فى دين ولا خلق ولكنى أكره الكفر فى الإسلام . . وما أطيقه بغضاً . . انى رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل فى عدة من الرجال فإذا هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً .

فقال الرسول — أتردين عليه حديقته قالت — أردها وأزيده عليها ! قال أما الزيادة فلا . . وأحل طلبها الطلاق (رواه البخارى والنسائى وابن ماجه فى الطلاق) .

من هذا المثل نرى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يعترف بالحب ويعتبر فقدان الحب مبرراً لانتهاء الحياة الزوجية فى حين أن الديانات الأخرى لا تسمح بالطلاق إلا عند حدوث جريمة الزنا فأى الحلين أفضل وأحكم ؟ الحل الذى يمنع الجريمة قبل وقوعها . أم الحل الذى يضطر المرأة إلى الزنا كى تحصل على حريتها .

ومثل آخر يرويه لنا البخارى فى صحيحه أن امرأة اسمها بريرة طلبت الطلاق من زوجها لأنها لا تحبه « وكان

زوجها يحبها حباً شديداً وكان بعد فراقها يمشى خلفها فى الأسواق ودموعه تسيل على لحيته فأشفق الرسول عليه ، وقال لعمه العباس « ياعباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا ؟ ! ثم طلبها الرسول : وقال لها « لو راجعته فهو أبو ولدك » فقالت فى إصرار « أهو أمر يارسول الله » قال لا إنما أنا شافع » قالت « لاحاجة لى فيه » .

وجاءت فتاة إلى الرسول وقالت « إن أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته فجعل رسول الله الأمر لها إن شاءت أقرت ما صنع أبوها وإن شاءت أبطلته . . فقالت قد أجزت ما صنع أبى ولكن أردت أن يعلم الناس أن ليس للآباء من الأمر شىء » رواه ابن ماجه وأحمد وأبو داود .

رأى فقهاء الإسلام عن الحب : —

لقد كتب فقهاء الإسلام عن الحب بصراحة وشجاعة . . فشرحوا الحلال منه والحرام ، ومنهم من ألف كتباً كاملة أو فصولا من كتب عن الحب . من هؤلاء ابن حزم فى كتابه طوق الحمامة . والجوزى فى كتاب « ذم الهوى» وابن تيمية والشافعى .

وقد وصف ابن حزم الحب وعلاماته والحب من أول نظرة والحب بالمراسلة والحب المكتوم فى القلب ، كما

وصف أخلاقيات الحب فى الإسلام ودواعى الكتمان ودواعى الإذاعة . وألف ابن القيم كتاباً فى الحب سماه « روضة المحبين ونزهة المشتاقين» تساءل فيه : هل الحب ضرورى للإنسان أم يمكن العيش بدونه . ووصف حدود الحب وآدابه .

ومن روائع ماكتب عن الحب كتاب « ذم الهوى » للإمام الفاضل أبى الفرج ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . ورغم عنوان الكتاب إلا أنه فى الواقع يمدح الحب النظيف الحلال . فيقول فى ص ٣٠٦ « اختلف الناس فى العشق هل هو ممدوح أم مذموم ؟ فقال قوم ممدوح لأنه لا يكون إلا من لطافة الطبع ولا يقع عند جامد الطبع . ومن لم يعشق فذلك من غلظة طبعه . فهو يجلو العقول ويصفى الأذهان ما لم يفرط فيه فإذا أفرط عاد سماً قاتلا . وقال آخرون مذموم لأنه يستعبد العاشق قلت : وفصل الحكم : أماالمحبة والود والميل، إلى الأشياء المستحسنة والملائمة فلا يذم ولا يعدم ذلك إلا الحبيس من الأشخاص .

وأما العشق الذى يزيد على حد الميل ويصرف صاحبه عن مقتضى الحكمة فهو مذموم ، وقد وقع فى القسم الأول كثيرون من الأكابر ولم يكن عيباً فى حقهم .

ويستشهد الإمام ابن الجوزى بالكثير من الصحابة

والأئمة والعلماء ثم يقول « سئل الإمام أبو نوفل : هل يسلم أحد من العشق . قال : نعم . . الجلف الجافى الطبع الذى ليس فيه فضل ولا عنده فهم . وأما من فى طبعه أدنى ظرف أو معه دماثة أهل الحجاز ورقة أهل العراق فهيهات هيهات . ثم أنشد .

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى

فأنت وعير بالفلاة سواء

وجلس أحد الأئمة فى مجلس العلم والدين ، ثم فاجأ تلاميذه بقوله :

هل فيكم عاشق . . فهابوا وقالوا : لا . قال اعشقوا فإن العشق يطلق اللسان العيى ، ويفتح جبلة البليد والمختل . ويبعث على التنظيف وتحسين اللباس وتطييب المطعم ويدعو إلى الحركة والذكاء ، وتشرف الهمة وإياكم إياكم والحرام .

كتب هذا فى القرن السادس الهجرى ، ولو كتب فى عصرنا لقيل عنه تقدمى وسابق لعصره ، ولو وضع فى كتب علم النفس والتربية الحديثة فى أوروبا لقيل علم حديث ومتطور واستحق كاتبه شهادة علمية رفيعة ولكنه من تراثنا الإسلامى القديم جداً .

(٧) الاختــلاط

أو فرص التعارف بين الجنسين فى الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

« إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم

شعوباً وقبائل لتعارفوا »

صدق الله العظيم

الإختلاط

أو فرص التعارف بين الجنسين فى الإسلام

قضية الاختلاط هى إحدى المشاكل الهامة التى تختلف الآراء حولها فى مجتمعنا الإسلامى المعاصر إختلافاً شديداً بين مؤيد ومعارض .

والواقع أن هذا الاختلاف مرجعه إلى الخلط بين التقاليد الموروثة وبين تعاليم الدين . . وكما ذكرنا فى مقدمة هذا الكتاب فإن التقاليد التى نتوارثها عن الأجداد والسلف قد يكوى فيها الخطأ والصواب . . والباطل والحق . . وقد تكون وصلتنا عن مراحل التخلف والجهل . . فهى لاتستحق منا التقديس ولا التقيد بها . .

أما الدين فإنه تعاليم سماوية لايأتيها الباطل . . لأنها منزلة من عند الله . . وعند مناقشة قضية الاختلاط دينياً يجب أن نميز بين أمرين هامين . .

ــ الاختلاط والخلوة : فكثيراً ما تختلط المفاهيم بينهما . . وكثير من الناس يهاجم الاختلاط ويحرمه وهو

يقصد الخلوة . . ولذلك نقول إن الخلوة حرام بنص شرعى . . ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم .

« من كان يؤمن بالله ورسوله فلا يخلون بامرأة : إلا مع ذي محرم » متفق عليه . فهذه الخلوة متفق على تحريمها . أما الاختلاط فمعناه تواجد المرأة فى الحياة العامة وفى سائر نشاطات المجتمع . . وهذا أمر قد أباحه الإسلام بل ووضع له القواعد والتنظيمات التى تصونه وتحميه . . ومن التنظيمات التى وضعها الإسلام للاختلاط ما يتعلق بالمكان والزمان والبيئة والملابس ونوع الحديث . .

— فالمكان الذى يسمح فيه بتواجد المرأة المسلمة يجب أن يكون وقوراً وجاداً . . مثل أماكن العبادة ودور العلم . . ومثل الزيارات العائلية ، ومثل ميادين الجهاد . . ومثل مجالات النشاط الاجتماعى والرياضى والترفيه البرىء .

— ويجب فى كل هذه الأحوال أن تراعى المرأة الزى المحتشم وعدم التبرج فى الزينة إلا بما أذن به الشرع وحده . .

— ويجب أن يكون الحديث المتبادل بينها وبين الرجال بالقول المعروف والحكمة والموعظة الحسنة . . فلا تحضر مجلساً فيه ألفاظ بذيئة أو دعابة ماجنة . أو كلام خليع . .

— إلى جانب ذلك فيجب أن تكون الفتاة المسلمة والشاب المسلم على خلق إسلامى وتربية إسلامية تحيطهما بسياج من العفة وصيانة النفس عن الهوى والزلل . .

فى ظل هذه الظروف فإن الإسلام لايمنع الاختلاط بل يشجعه . . فالاختلاط العفيف الشريف أمر حيوى لكل فتى وفتاه لفرص التعارف واختيار كل منهما من يناسبه فى الخلق والطباع والميول والعادات . .

وقد يقول قائل إن فترة الخطوبة تكفى لكى يعرف كل من الرجل والمرأة طبيعة الآخر . . وإنه بذلك لا يكون هناك مبرر للإختلاط قبل الخطوبة . . وهذا خطأ والمفروض أن الخطوبة هى مرحلة الحسم قبل الزواج . .

فالشاب المتعلم لايخطب إلا الفتاه التى يختارها بين مئات من النساء والتى تتفق معه فى ميولها وعاداتها وطبيعتها .

فى العصر الماضى وعلى عهد أجدادنا كان يكفى أن يسأل الشاب عن أسرة الفتاه وعن مدى تدينهم وخلقهم . . ثم بعد ذلك يتقدم لخطوبتها بغير تردد . . . وكانت الزيجات تتم على رأى الخاطبة وأختيارها . . وهى غالباً امرأة جاهلة لاتفقه من الحياة الزوجية إلا أن تكون المرأة وعاء للنسل وللشهوة . . وكان الشاب يرسل أمه أو أخته لترى الفتاه وتجالسها . . فكانت الأم تشد شعر العروسة خوفاً من أن

تكون صلعاء . . وتعطيها بعض النقل والمكسرات لتتأكد من سلامة أسنانها . . وتحضنها بشدة وتتلمس صدرها خوفاً من أن يكون غير طبيعى . .

تماماً كما يفعل الإنسان عندما يشترى دابة ليركبها أو عبداً ليخدمه . وكان هذا الأسلوب يتناسب مع مجتمع ذلك العصر لأن الشباب كان جاهلا . . وكانت نسبة الأمية أكثر من ٩٠٪ وكان التعليم لا يزيد عن مستوى الكتاب و بعض الحساب . .

أما اليوم وقد أصبح الشباب ينال أعلا الشهادات فى الطب أو الهندسة أو الكمبيوتر فكيف يتصور إنسان عاقل أن نطلب منه الزواج من شريكة عمره كله ورفيقة حياته عن طريق أم عجوز أو خاطبة جاهلة . . .

إن الشاب المتعلم المثقف يختلف عن الجلف الجاهل بأن الأول يعيش فى هذه الدنيا بأحاسيسه وبعقله .

بينما الثانى يعيش بجسمه وغرائزه وشهوته .

— الأول يريد من شريكه الحياه أن تكون صديقة عمره وشريكته فى الرأى . . وحبيبته التى يعتز بها ويفضى إليها بكل أسراره .

— والثانى : يريد من الزوجة أن تكون وعاء لتفريغ

الشهوة وإنجاب الأطفال . . وخادمة فى البيت تنظفه وتجهز الطعام .

النوع الأول يكتفى بزوجة واحدة لأنه يريد أن يقاسمها كل شىء فى الحياة .

والنوع الثانى . . مطلاق مزواج . . لا يكتفى بأى عدد . . لأنه أقرب إلى الحيوان البدائى . . فمن الظلم على مثل هذا الإنسان المتعلم المرهف الحس أن نجعله يرتبط بفتاه لايعرف عنها شيئاً أكثر مما تعرفه الخاطبة الجاهلة . . قد تكون هذه الفتاه جميلة جداً . . ومتدينة جداً . . وابنة أسرة كريمة . ومتعلمة وفيها كل الشروط . المثالية فهل هذا يكفى لاستمرار الحياة الزوجية بينهما .

— قد يكون أحدهما سطحياً ساذجاً رغم التعليم والشهادات بينما الآخر عميق التفكير .

— قد يكون أحدهما عصبياً حاد المزاج بينما الآخر يحب الهدوء وراحة البال . .

— قد يكون أحدهما من النوع المنطوى الذى لا يحب الحياة الاجتماعية . بينما الآخر لا يستطيع البعد عن الناس . . وعن المجتمع . .

— إن البشر ليسوا بالبساطة التى يتصورها بعض الناس ».

ـ وكلما ازداد الإنسان علماً وثقافة . . وكلما اتسع أفقه واطلاعه . كلما زادت نفسه عمقاً . . وتعقيداً . . وكلما زادت مطالبه من الحياة ومن شريك الحياة . . . .

النفس البشرية فيها الحب والكره . .

فيها الطيبة وفيها المكر . . وفيها الخير والشر . .
فيها الخيال والفن والإبداع . . أو الخمول والاستكانة والفشل . .

ومن أهم العناصر التى تنمى جانب الخير فى الإنسان نجاحه فى حياته الزوجية . . ووفاقه مع شريك حياته . . ومن أهم دعائم هذا النجاح أن يشعر كل من الزوجين فى حياته بأنه يحب ويحب .

وأن يجد من يتجاوب معه روحياً وذهنياً . .

وما أصدق المثل الذى يقول « وراء كل رجل عظيم امرأة » .

ويكمل هذا المثل بقولنا « ووراء كل رجل فاشل امرأة »

ولن أطيل فى الحديث عن الاختلاط فى هذا الكتاب . . فالقضية أهم وأخطر من أن نمر بها مروراً عابراً فى كتاب صغير . . وسوف أتناولها فى كتاب مستقل يصدر بعد كتابى

هذا بإذن الله بعنوان (الاختلاط)[١] بحيث نشرح بصورة وافية تعاليم الإسلام فيها وكيف كانت تطبق على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين . . ومتى نشأت مشكلة الاختلاط فى المجتمع الإسلامى ومتى منع . . وكيف نطبق الاختلاط فى مجتمع إسلامى مثالى معاصر . . ونتقى محاذيره التى نراها من سوء التطبيق فى الغرب .

• • •

(١) كتاب « الإختلاط فى الدين وفى التاريخ وفى علم الاجتماع للمؤلف » — الهيئة العامة للكتاب .

(٨) النكاح الصحى فى الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

« نساؤكم حر ث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم »

سورة البقرة ٢٢٣

النكاح الصحى فى الإسلام :

فى مطلع هذا الكتاب بينا كيف اهتم الإسلام بتثقيف أبنائه ثقافة جنسية سليمة وكاملة . . ثم تناولنا القواعد العامة التى وضعها الإسلام لاختيار الزوجة وبناء الأسرة . وهنا نبحث كيف وضع الإسلام للعلاقة الجنسية منهجاً ونظاماً دقيقاً يسبق به أحدث النظريات والدراسات العلمية فى القرن العشرين .

ولا شك أن اهتمام الإسلام بالعلاقة الجنسية يرجع إلى دورها الخطير فى استقرار الأسرة وسعادتها وفى تجنيبها المشاكل والعقد والأمراض إذا أحسن استخدامها . . وهذه هى بعض تعاليم الإسلام فى هذا الباب :

١ — فالمذاهب السابقة للإسلام كانت تنظر إلى هذه العلاقة على أنها نجس وخبث وشر لابد منه مهما كانت فى الحلال . فجاء الإسلام بعكس ذلك ورفع من شأن العلاقة الجنسية بين الرجل وزوجته واعتبرها حسنة تكتب له فى الآخرة وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :

« ما من رجل يأخذ بيد زوجته يراودها إلا كتب الله تعالى له حسنة فإن عانقها فعشر حسنات فإن أتاها كان خيراً من الدنيا وما فيها » .

وسمع رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« وفى بضع أحدكم صدقة » فقال يارسول الله يأتى أحدنا شهوته ثم تكون له صدقة « قال الرسول نعم : أرأيتم لو وضعها فى حرام لكان عليه بها وزر . فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر » .

(رواه مسلم والنسائى)

٢ — ومن أول تعاليم الإسلام فى هذا المجال مراعاة المحبة والوفاق العاطفى بين الشريكين كشرط لإقامة علاقة جنسية سليمة ودائمة . . فبغير هذا التعاطف والمحبة تنقلب نعمة الجنس إلى نقمة . . وقد استنكر رسول الله على الذى يسئ معاملة زوجته ثم بعد ذلك يدعوها إلى فراشه فيقول :

« يظل أحدكم يضرب زوجته ضرب العبيد ثم يدعوها إلى فراشه فيقبلها ويعانقها ولا يستحى » .

(اخرجه ابن ماجه)

٣ — ويأمر الإسلام الرجل أن يتجمل لزوجته كما يحب منها أن تتجمل له . . وفى ذلك يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

— « اغسلوا ثيابكم . وخذوا من شعوركم واستاكوا ، وتنظفوا فإن بنى اسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم » .

ومن أقوال فقهاء المسلمين فى ذلك .

« هيئة الرجل للمرأة مما يزيد فى عفتّها » وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب التجمل فى منظره وملبسه فى غير خيلاء ولا اسراف .

— ويوصى أصحابه بقوله : « احسنوا ركابكم حتّى تكونوا شامة فى الناس » .

وروى عن الخليفة عمر بن الخطاب أن امرأة جاءت إليه تطلب الطلاق من زوجها . . فنظر إليه فإذا هو أشعث أغبر فأرسله ليستحم ويأخذ من شعره وأظافره . . ويصلح من شأنه . . فلما عاد أنكرته أولا ولما عرفته قبلت به وعادت معه إلى بيتّها . . فقال عمر رضى الله عنه « هكذا فاصنعوا لهن والله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهم كما تحبون أن يتزين لكم » .

ومن السنة أن الرجل إذا عاد من سفره أن يصلح من شأنه وزينته قبل الدخول على أهله . . وكان الرسول إذا عاد من غزوه أو سرية يعسكر بالجيش خارج المدينة بعض يوم يغتسلون ويتمشطون قبل الدخول على أهليهم . . وكان يقول لأصحابه :

« تمهلوا حتّى تمتشط الشعثة » .

أى انتظروا وأعطوا النساء الوقت ليتزين لكم . .

٤ — وفى نفس الوقت فإن الإسلام يوصى الرجل المسلم بالاهتمام بزينة زوجته ومظهرها وأن يأتى لها بخير ما يستطيع من الملبس حتى تبدو جميلة فى عينه فلا ينصرف عنها إلى غيرها ، وقد روت السيدة عائشة عن رسول الله قوله :

« النساء لعب الرجال فليزين الرجل لعبته ما استطاع فإن ذلك ادعى لشهوته وأملؤ لعينه » .

٥ — وحرصاً من الإسلام على بقاء الجاذبية بين الرجل والمرأة فقد نهى كلا من الجنسين عن التشبه بالجنس الآخر سواء فى ملبسه أو فى أخلاقه وتصرفاته . . وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم .

« لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » .

رواه البخارى

والقصد من ذلك أن تظل لكل من الجنسين شخصيته المستقلة وجاذبيته نحو الجنس الآخر . . هذا علاوة على مكافحة التخنث واللواطه فى الرجال ومكافحة الاسترجال فى النساء .

٥ — ومعظم كتب التربية الجنسية الحديثة تنهى أن يباشر الرجل زوجته دون أن تسبق ذلك ملاطفة عاطفية وتمهيد جنسى . . وتقرر أن الكثير من الزوجات تصاب بالبرود الجنسى والأمراض النفسية والعضبية لأن الزوج لا يفهم هذه الحقيقة أو يعطيها حقها . وقد سبق الإسلام إلى تقرير هذه القاعدة العلمية .

فالإسلام يعتبر الرجل الذى يغفل هذه الحقيقة كأنه بهيمة لا يحس ولا يدرك مشاعر غيره وفى هذا يقول رسول الله :

« لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول » .

قيل وما الرسول يا رسول الله . قال (القبله والكلام) .

وعن جابر « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المواقعة قبل المداعبة » ولم يكن رسول الله يقصر ملاطفته لزوجاته قبل المباشرة فحسب . ولكنه كان دائم الملاطفة والملاعبة لهن فى كل وقت حتى وهو ذاهب إلى الصلاة وكان يقبلهن ويداعبهن وهو صائم وفى ذلك تقول السيدة عائشة .

— كان رسول الله ينال منى القبله بعد الوضوء ثم لا يعيد وضوءه .

٦ — وتذكر كتب التربية الجنسية أن الزوجين عليهما

أن ينوعا من الأوضاع الجنسية حتى تأخذ العملية الجنسية طابع التغيير والتجديد وحتى لا يمل أحد الزوجين من الآخر . وقد جاء بعض الصحابة يسألون رسول الله فى الأوضاع المختلفة التى تتبعها الشعوب الأخرى كاليهود والفرس فنزلت آيات القرآن تبيح لهم اختيار الوضع الذى يشاءونه بغير قيود أو حدود فيقول تعالى :

— « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » .

٧ — ويفضل الصراحة والروح العلمية التى واجه بها الإسلام المسائل الجنسية فقد كان الصحابة يأتون إلى رسول الله يسألونه فى أحرج أمور الجنس وهو يجيبهم بغير استنكار ولا استخفاف . . فكانوا يسألونه عن تقبيل الفرج وعن الاستمتاع بالنظر إليه .

عن سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يارسول الله انى لأحب أن أنظر إلى عورة امرأتى ولا ترى ذلك منى (أى أحب أن أنظر إليها ولا تنظر إلى (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ولم ذلك . . ان الله جعلك لباساً لها و جعلها لباساً لك . . وأنا أرى ذلك من أهلى ويرونه منى (المطالب العالية ج ٢ ص ٢٩) .

رواه الطبرانى والترمذى .

٨ - ويحرم الإسلام الشذوذ الجنسى مع المرأة أى اتيانها فى الدبر بل تؤتى فى المكان الطبيعى الذى جعله الله للنسل والتناسل وفى هذا تقول الآية « فأتوهن من حيث أمركم الله » ويقول الرسول : استحيوا من الله ولا تأتوا النساء فى أدبارهن » (رواه ابن ماجه والترمذى) ولا يقتصر ضرر هذا الشذوذ على منع النسل فحسب به إنه يشمل جميع الأضرار التى من أجلها حرمت اللواطه فى الطب والعرف والدين وعلى الأذى النفسى للمرأة فإنه يحدث تشققاً فى الشرج والتهابات شديدة . . أما الرجل فقد يصاب فى مجرى البول بالتهابات وغالباً يصعد الميكروب إلى البروستاتا وقد يسبب له العقم وذلك لأن الشرج ملىء بالميكروبات التى لايوجد مثلها فى باب الرحم (المهبل) كما وأن الرجل قد يأخذ هذه الميكروبات لكى ينقلها بدوره إلى رحم المرأة وقد يصيبها هى بالعقم .

٩ - ويأمر الإسلام الرجل أن يتلطف بالزوجة أثناء المجامعة وأن يعمل على اشباعها جنسيا . . وأن يجتهد ألا يقضى حاجته قبل حاجتها وإذا سبقها فليحاول الصبر حتى تأخذ دورها . . وفى هذا يقول الرسول :

« إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها . . ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها ».

(رواه أنس بن مالك - المطالب العالية جـ ٢ ص ٣٠) :

١٠ — ويحرم الإسلام على الزوجه تحريماً قاطعاً أن تماطل زوجها أو أن تتهرب منه بأى عذر غير شرعى إذا دعاها إلى فراشه .. وذلك لأن حرمان الزوج من الحياة الجنسية المنتظمة لا بد أن يدفعه دفعاً إلى الكبت أو الشعور بالحرمان وقد يدفعه ذلك إلى الزنا والتطلع إلى سواها فالزوجة فى هذه الأحوال مسئولة عن انحراف زوجها . .

وسوف نأتى إلى تفصيل لتعاليم الإسلام فى هذه القضية فى باب البرود الجنسى عند المرأة المسلمة . .

١ — وكما أمر الإسلام الزوجة أن لا تماطل زوجها . . أو تهجر فراشه فقد أمر الزوج أيضاً أن لا يهجر فراش زوجته ما لم يكن هذا الهجر عقاباً مقصوداً ولفترة محدودة . . وفيما عدا ذلك فلا يحق له هجرانها بحجة الانشغال بأمور الدنيا وبأمور الدين . . فإن ذلك يدفع المرأة إلى اهمال نفسها وحياتها وقد يدفعها إلى الانحراف إن كانت صغيرة السن .

انظر إلى هذه القصة الرائعة وحكم الإسلام دين الفطرة فيها :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « جاء رهط إلى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها (أى عدوها قليلة) فقالوا أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم وقد غفر الله له ما تقدم من

ذنبه وما تأخر وقال أحدهم : أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا . . وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدا . وقال آخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . . فجاء رسول الله إليهم وقال . « أنتم الذين تقولون كذا وكذا . . ؟ أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم لكنى أصوم . . وأفطر . وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » . (رواه البخارى ومسلم) ٥

وعن عائشة أن (الحولاء) زوجة الصحابى عثمان بن مظعون.جاءت تزورها وقد تغيرت أحوالها فقالت لها عائشة . . :

« مالك يا حولاء متغيرة اللون لاتمتشطين ولا تتطيبين» . .

فقالت الحولاء : وكيف أتطيب وأتمشط وما وقع على زوجى ولا رفع عنى ثوباً منذ أمد بعيد» فتضاحك نساء النبى من كلامها .. . فلما عاد رسول الله قالت عائشة :

يارسول الله سألت الحولاء عن أمرها فقالت ما رفع عنى زوجى ثوباً منذ مدة . . فغضب رسول الله من ذلك وأرسل إليه وقال له : ما بالك يا عثمان . . قال عثمان : إنى تركته كى أتخلى للعبادة حتى فكرت فى أن أتبتل ما بقى من عمرى ولو أذنت لى يارسول الله لاختصيت.. ؟ قال الرسول : أقسمت عليك ألا رجعت فواقعت أهلك . .

قال : يارسول الله انى صائم . .

قال : إذا أفطر . . ؟

فقام عثمان طائعاً وأتى أهله ثم وقف رسول الله وخطب فى الناس فى مسجده قائلا :

« مابال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم . . إنى أنام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » . (متفق عليه) .

وفى اليوم التالى رجعت الحولاء إلى عائشة وقد اغتسلت وامتشطت وتطيبت فضحكت عائشة وقالت : مابالك ياحولاء .

فقالت : ان زوجى عثمان أتانى بالأمس .

وهذا مثل حى على حكمة الإسلام وواقعيته فى المسائل الجنسية وما يعطيها من اهتمام وتقييم .

ويرى فقهاء الإسلام أن الرجل لا يجب أن يغيب عن زوجته فوق أربعة أشهر وهذه القصة تبين لنا العقلية المتفتحة التى ينظر بها المشرعون المسلمون إلى مسألة الجنس : فبينما كان الخليفة عمر بن الخطاب يمر فى إحدى جولاته بالليل إذ سمع امرأة تنشد قائلة : —

تطاول هـذا الليل وازور جانبه
وليس إلى جنبى خليل أداعبه

فوالله لـولا الله لارب غـيره
لزلزل من هذا السرير جوانبه

مخـــافة ربى والحيـــاة تكفنى
وأكرم زوجى أن تنال ركائبه

وذهب عمر يسأل عن شأنها وقد همه أمرها . . فعلم أن زوجها غائب مع جنود المسلمين فى الحرب . . فذهب عمر إلى ابنته حفصة يسألها :

ياحفصة كم تصبر الزوجة على بعد زوجها . .

فخجلت ولم ترد . . فقال عمر :

— يابنيه . . أجيبي وانقذى أباك من عذاب أليم . .

فقالت « تصبر شهرين يا أمير المؤمنين . وتجالد نفسها بعد الثالث وتفقد صبرها بعد الشهر الرابع . .

فجمع عمر الصحابة وتشاوروا وأصدروا قراراً أن لا يغيب محارب عن أهله أكثر من أربعة أشهر . . فانظر كيف كان لتعاليم الإسلام والصراحة التى واجه بها مسائل الجنس المعقدة الأثر فى هذه الحلول المتفتحة للمشاكل وانظر إلى حكمة عمر فى أنه لم يسأل زوجته فى هذا الشأن بل ذهب إلى ابنته الشابة الحديثة العهد بالزواج لكى يسألها . .

— ومن تعاليم الإسلام إلى الرجل المسلم أنه إذا رأى امرأة ووقع فى نفسه الإعجاب بها والرغبة بها فعليه أن يذهب إلى امرأته فيواقعها فإن ذلك يصرف عنه التعلق بالأخرى وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت فى قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما فى نفسه » . (رواه مسلم)

وفى هذا ما يبين لنا مدى واقية الإسلام فى معالجته لمشاكل الجنس .

(٩) العادة السرية فى رأى الدين والعلم :—

لابد لنا هنا من وقفة صريحة فى قضية العادة السرية حيث اختلفت فيها الآراء إلى الحد الذى يحدث البلبلة والاضطراب النفسى والذهنى لدى المراهقين والشباب ..

فبعض المربين والآباء إذا سئلوا من قبل المراهق يقولون أنها شديدة الضرر بالصحة وتؤدى إلى الجنون وفقدان الحيوية وضعف النظر والارتخاء الجنسى .

وبعضهم يبالغ فى العكس فيهون الأمر ويجعله فى صورة مرغوبة ومحببة وكل الاتجاهين غير سليم وضار . .

ومن هنا كان الواجب على الآباء والمربين معرفة رأى الدين والعلم فى هذا المجال حتى لايخرجوا عنه . .

أما رأى الدين : فإن العادة السرية لم يرد شىء عنها فى القرآن الكريم وكذلك لم يرد عنها شىء فى الحديث النبوى : والله تعالى يقول فى سورة الأنعام « وقد فصل لكم ما حرم عليكم » فالحرام هو ما حرم فى الكتاب والسنة وحدوده واضحة ومعروفة ولا ينبغى الزيادة عليها اجتهاداً من البشر والملاحظ أن بعض الناس يلجأ إلى الأحاديث الموضوعة

أو المكذوبة فى هذا المجال لتأييد رأيه . . ومن ذلك قولهم « ناكح يده ملعون ويأتى يوم القيامة ويده حبلى » . . وهو كلام موضوع ولا يوجد فى أى مرجع صحيح من مراجع الحديث . .

والخلاصة . . أنه لا يوجد فى القرآن والسنة ذكر للعادة السرية لا بالتحريم أو الإباحة .

أما رأى العلم : فتقرر الأبحاث الطبية أن العادة السرية منتشرة فى أنحاء العالم بين أكثر من ٩٠٪ من الذكور و ٦٠٪ من الإناث . .

وأنها تحدث ابتداء من مرحلة المراهقة حتى سن الزواج .

الرأى الطبى أنها ليست ضارة إذا حدثت بصورة معتدلة ودون أن يسبقها تهيج جنسى مفتعل وهى بذلك تصبح نوعاً من تفريغ الشحنة الجنسية وإراحة الأعصاب من التوتر وهى بلا شك أهون من أضرار الزنى . .

أما أضرارها فتنحصر فى الآتى : —

١ — المبالغة والإكثار دون مبرر .

٢ — افتعال التهيج الجنسى عن طريق غير طبيعى كالصور والمشاهد الجنسية .

٣ — الشعور بالذنب وتأنيب الضمير الذى ينجم عن سوء التوجيه والإرهاب المبالغ فيه .

(٩) البرود الجنسى عند المرأة المسلمة

حديث شريف

« والذى نفسى بيده . . ما من رجل يدعو زوجته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها حتى يرضى »

رواه مسلم والبخارى

« خير النساء الغلمة على زوجها العفيفة بفرجها »

البخارى

البرود الجنسى عند المرأة المسلمة

من خلال عملى منذ زمن بعيد كطبيب للأسرة المسلمة كانت تعرض على الكثير من حالات الخلاف وسوء التفاهم التى تهدد كيان الأسرة .

والكثير من هذه المشاكل إذا أهمل أو عولج بجهالة يؤدى إلى الطلاق وخاصة بين الشباب الحديث عهد الزواج .

ومما يزيد المشكلة تعقيداً أن كلا الزوجين لا يستطيع البوح بصراحة بالأسباب الكامنة وراء هذا الخلاف أمام الأهل والأقارب الذين يرغبون فى الإصلاح والوفاق مما يجعلهم يتخبطون فى الظنون والحلول . . وربما كان طبيب الأسرة أقرب الناس إلى تفهم هذا الوضع وأقدرهم على التصدى للحل . وخلاصة المشكلة فى شكوى الزوج من أن زوجته مصابة بالبرود الجنسى والعاطفى فهى لاتظهر له من عواطفها وأنوثتها ودلالها ما يشعره بأنها تبادله حباً بحب . . وشوقاً بشوق . . أو أنه موضع محبة وإعزاز . . ثم تأتى المسألة الأهم . . فهو يشكو من أن زوجته لا تتجاوب معه جنسياً . . فإذا طلبها إلى فراشه تكاسلت أو ماطلت حتى يغلبه النوم . . وقد تخلق الأعذار الواهية مثل الكسل عن الغسل وبلل الشعر فى اليوم التالى أو التعب والإرهاق من أعمال النهار . . وقد تكون الحجة أو هى من ذلك . . مثل التعلل بحرارة الجو صيفاً أو برودة الطقس شتاء .

وحتى لو استجابت له وبادلته الفراش لعدم إغضابه فإنما تفعل ذلك بطريقة باردة فاترة وكأنما تؤدى واجباً مفروضاً .

ويضيف الكثير من الأزواج إلى ذلك عدم اهتمام الزوجة بأنوثتها وزينتها وملابسها سواء داخل البيت أو خارجه . . مما يجعله يزهد من الرغبة فيها والتطلع إليها .

وهذه الأمور كلها لها رد فعل قاسى على نفس الزوج ومعنوياته وخاصة إذا كان فى مرحلة الشباب ولا بد أن يشعر بجرح فى كبريائه ورجولته . . وتزداد هذه الحالة شدة إذا كان الزوج متديناً لا يريد أن يشعر بالفراغ الجنسى الذى يدفع غيره من الأزواج إلى التطلع إلى الحرام . . والنتيجة الحتمية أنه يفقد حبه لزوجته بالتدريج . .

وقد يقسو عليها أو يسبب لها المشاكل فى كل صغيرة وكبيرة وتصبح الحياه بينهما مستحيلة دون أن يكون هناك سبب ظاهر أو محدد . .

وقبل أن نبدأ فى ذكر الحل والعلاج يجب أن نسأل أنفسنا أولا .

لماذا تصاب المرأة المسلمة بالذات بالبرود : ؟

تكثر هذه الحالة فى الأسر المسلمة المتدينة والمحافظة . . حيث تربى الفتاة منذ الصغر تربية فيها التخويف من الجنس الآخر . . فمنذ طفولتها تمنع من اللعب مع الأولاد الآخرين . .

وتحذر من مكالمتهم أو ملاطفتهم . . حتى تنشأ وفى أعماقها عقدة الشك والخوف من الجنس الآخر . . وإذا كبرت منعت من الاختلاط البرىء بالشباب . أو التحدث معهم ولو كان رداً على سؤال عابر أو تحية بريئة . . ومن الآباء من يتمادى فى الحجر على بناته . . فإذا علم أنهن ينظرن من النافذة أغلق نوافذ البيت بالأخشاب والمسامير حتى لاينظرن إلى المارة . . وإذا خرج من البيت لنزهته أوعمله أغلق عليهن الأبواب بالمفاتيح . . وإذا سمح لهن بالتعليم والدراسة أصر على أن يكون التعليم نسائياً بحتاً وغير مختلط . . وحقيقة إن هذه العادات المتطرفة التى كانت سائدة حتى القرن التاسع عشر قد بدأت تنقرض مع ازدياد العلم والنور . . ولكن الأسرة المسلمة المتدينة مازالت تحرم شبابها من الاختلاط العفيف الذى يبيحه الإسلام ولا يحرمه . . وكثير من هؤلاء البنات لم تتكلم فى حياتها مع رجل أيا كان قبل زواجها سوى أبيها أو أخيها . . وكثير منهن يخاف من مجرد التفكير فى الحب . . أو النظر إلى الحبيب . . أو حتى أن تتصور شكل فتى الأحلام الذى تتمنى أن يكون لها زوجاً . . ورفيق العمر . وهذا بطبيعة الحال يجعلها تتحاشى مع الزمن مجرد التفكير فى الجنس كما يفكر الكائن الحى الطبيعى . . وهو ما يصيبها فى النهاية بالبرود العاطفى والجنسى .

السبب الثانى لهذا البرود هو انعدام التربية الجنسية فى الأسرة المسلمة والتعتيم على هذه القضية هرباً من مواجهتها . . وعدم وجود جو من المصارحة بين البنت وأمها .. وخوفها أن تشترى كتاباً علمياً فى الجنس لكى تقرأه وتتثقف منه . . أن أن تسأل المدرسة أو المربية فى هذا الشأن . . وتكون النتيجة هى الجهل المطبق بشئون الجنس والنظر إليه كأنه طلاسم وألغاز . . وكثير من البنات المسلمات إذا تزوجت تظل مدة طويلة تصاب بالذعر والارتباك كلما اقترب منها زوجها . . ومنهن من تمضى عليها الشهور والسنوات وهى لا تعرف كيف تقضى حاجتها من الجماع . . ولا تشعر بأى لذة أو شهوة . .

والسبب الثالث للبرود الجنسى هو عادة ختان البنات التى مازالت بعض الأسر المسلمة تمارسها باسم الدين والدين منها براء . . فإن هذه العادة تقضى على كل ما تبقى للبنت من أنوثة . . أو تجاذب مع الزوج أو استمتاع فى الفراش وبجعلها أقرب إلى الآلة الصماء منها إلى الإنسان الحى ..

ما هو العلاج : —

كبداية نقول أن كل زوجين مسلمين يجب أن يعرفا جيداً أن هذه المشكلة حالة مؤقته وليست عاهة مستديمة ولا مرضاً مزمناً . . وأن علاجها يمكن فى أمرين هامين

أولهما : التوعية الجنسية وثانيهما : العلاج بالزمن ؛

ولو كان العلاج بالبتر والطلاق لهدمت جميع بيوت المسلمين لأن هذه المشكلة تمثل أكثر من ٩٠٪ من أسباب الخلاف فى الأسرة المسلمة .

وكثير من الأزواج الشباب يتصور أنه لو طلق زوجته وتزوج بأخرى فقد يتغير حظه وتكون الزوجة الجديدة أكثر استجابة لرغباته الجنسية وأكثر حرارة فى الفراش ولكنه سرعان ما يكتشف أنها قضية عامة فى أكثر النساء وأنها ليست حالة خاصة بزوجته دون غيرها من النساء وفى أغلب الأحيان يأتى هذا الاكتشاف بعد فوات الأوان وبعد أن يكون قد دمر زواجه الأول وحبه الأول . . وجرح مشاعر الزوجة الأولى وما أصدق قول الشاعر :—

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب إلا للحبيب الأول

يجب على كل شاب مسلم وفتاة مسلمة أن يقرأ كتب التربية الجنسية بعناية ويدرسها دراسة جدية . . وبديهى أن تبدأ هذه الدراسة قبل الزواج بوقت كاف ولكن هذا لا يمنع أن تبدأ هذه الدراسة بعد الزواج أيضاً فلا يزال فى العمر متسع للدراسة مع التطبيق العملى على الحياة الزوجية . .

وبعد هذه المقدمة نقول إن الحلول تتوقف على ثلاثة

أطراف شركاء فى هذه القضية : الأهل . الزوج . الزوجة . .

أولا — الأهل وتربيتهم للبنت والولد : —

لقد شرحنا فى هذا الكتاب موقف الإسلام من قضية التربية الجنسية للفتى والفتاة . . وبينا خطر التعتيم والتجاهل وواجب البيت والمدرسة فى شرح قضايا الجنس بالتدريج بحيث تكتمل كل المعلومات قبل مرحلة المراهقة . كذلك شرحنا موقف الإسلام من قضية الاختلاط وبينا الفرق بينه وبين الخلوة وشرحنا أهمية الاختلاط النظيف الهادىء منذ الطفولة فى تهيئة الفتى والفتاة لحياة زوجية سليمة خالية من العقد وفى إتاحة الفرص لكل منهما لاختيار الزوج المناسب له . أيضاً بينا خطر عادة طهور البنات وإن كانت هذه العادة والحمد لله قد اختفت تقريباً فى الأسرة المتعلمة والمثقفة وبقيت فى بعض الأسر القليلة الحظ من الثقافة والتعليم . .

وهذا من ناحية التربية والتعليم . . وبقى واجب الأهل وخاصة الأبوين إذا ووجهوا بمشكلة مثل هذه لابنهم أو إبنتهم . . يجب أن تهتم الأم بالذات بمشكلة ابنتها والأب بمشكلة ابنه . . ويتكلمان بصراحة عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء خلافاتهما وعليهما أن يغوصا فى أعماق المشكلة ولا يكتفيان بالمسائل الصطحية التى لايغنى حلها عن الحل الجذرى للسبب الأساسى . وبديهى أن الحل سوف يكون بالتوعية أساساً . . ومن هنا يجب أن

يكون لدى الأبوين أيضاً وعى بمشاكل الشباب وإلا فإن فاقد الشيء لا يعطيه . .

ثانيا — واجب الزوج :

كثير من الشباب فى عصرنا هذا يتأثر بالأفلام السينمائية ويتصور أن الزوجة المثالية ما يراه فى ممثلات السينما من حيث الأنوثة الرقيقة والعواطف الجياشة والاهتمام بزينتها وملبسها . . وهذا فى الواقع أكثره تمثيل فى تمثيل . . ولا يوجد إلا قلة من النساء التى تجمع بين مسئولية البيت وتربية الأولاد إلى جانب الوظيفة إذا كانت موظفة . . ثم تستطيع بعد ذلك أن تعطى زوجها كل ما يتمناه أو يتصوره من نفسها . . فيجب على الزوج أولا أن يضع جميع هذه الاعتبارات فى ذهنه حتى يعذر زوجته بعض العذر . . ولا يتصور أنها لا تحبه إذا قصرت فى إظهار عواطفها نحوه . . أو قصرت فى حقه فى فراش الزوجية . .

— وعليه أيضاً أن يفهم أن هناك فارق كبير بين . . الفتاة المتدينة التى تربت فى ظل الدين والعبادة منذ نعومة أظفارها وبين المرأة اللعوب التى جربت الرجال وتعرف كيف ترضى أى رجل .

— والشاب المسلم مطالب أكثر من الفتاة المسلمة بالقراءة والاطلاع على كتب التربية الجنسية باعتبار أن الفتاة أكثر

حياء وأقل جرأة على تداول هذه الموضوعات وإذا كان جاهلا بهذه الأمور فعليه أن لا يلوم زوجته على جهلها أو تقصيرها فالتقصير مشترك وإن كان اللوم على الرجل أكبر . .

— وقد ذكرنا فى هذا الكتاب واجبات الزوج المسلم نحو زوجته حتى يهىء لها حياة جنسية سليمة . . وقلنا أن عليه أن يتزين لها كما يحب أن تتزين له وأن يلتزم بالتمهيد والمداعبة قبل المباضعة .

بل عليه أن يهىء الجو الشاعرى الهادىء كأن يخرج معها فى نزهة جميلة وجلسة شاعرية لأن هذا مما يهىء لها الرغبة فى مبادلته العواطف والمودة . ويجب أن يساعدها فى عمل البيت أو يعفيها من بعض مسئولياتها الأخرى حتى ترتاح نفسياً وجسدياً . . أما إذا كانت الزوجة موظفة فهذا وضع خاص يحتاج إلى معاملة خاصة . . فهى تعمل مثله . . وتتعب مثله . . وتشاركه فى التعاون على أعباء الحياة . . من هنا فعليه أن يكون شريكها أيضاً فى أعباء البيت . . وأن يدبر لها خادمة تساعدها . . المهم أن يعرف الزوج الشاب أن الإجهاد البدنى والذهنى من أهم أسباب ضعف غريزة الجنس عند المرأة .

ثالثا — واجب الزوجة :

يجب أن تفهم المرأة المسلمة جيداً . . أن التدين لا يعنى القبح . . وإن الاحتشام لا يعنى الاسترجال . . وأن حسن العبادة لا تعنى فقدان الأنوثة . . لقد سمعت فتاة مسلمة تقول لزميلاتها أنها لا تحب أن تبدو جميلة حتى لاينظر إليها الرجال .

وسمعت أخرى تفخر أمام زميلاتها بأنها مثل الرجل فى الخشونة وجفاء الطبع لأنها تحب أن تكون جادة دائماً . . وأعرف كثيرات من النساء اللاتى اشتهرن بالتأنق والعناية بملبسهن وزينتهن . . ثم اقتنعن بالحجاب فإذا بهن يتحولن إلى الإهمال فى المظهر والملبس حتى أصبحت السيدة منهن لا تتميز عن الخدم والسوقة . .

ومن العبارات التى أصبحت شكوى عامة على لسان الكثير من الأزواج المسلمين قولهم (أنا متزوج عسكرى) وهذا التعبير الغريب يدلنا على أن الكثير من نساء المسلمين قد فهمن التدين فهما خاطئاً والتبست عليهن معانى الفضيلة والعفة والاحتشام بمعانى القبح والخشونة والاسترجال . .

فهل يا ترى نسين وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الميدان حيث يقول :

« إن الله جميل يحب الجمال » .

ويصف الزوجة المثالية بأنها التى تسره إذا نظر ويوصى المسلمين بالتزوج بالمرأة « الودود » أى التى تظهر المودة والملاطفة والأنوثة لزوجها بل يوصيهم بالمرأة (الغلمة) أى التى تشتهى الرجل وتحب المجامعة والعناق . وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم « خير نسائكم الغلمة على زوجها العفيفة بفرجها » .

(رواه البخارى)

والإسلام ينزل لعنته على المرأة المسترجلة فيقول « صلى الله عليه وسلم (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » (متفق عليه) . وليس التشبه هنا قاصر على الزى وحده ولكنه أهم من هذا يتناول طبيعة المرأة وأنوثتها .

— يجب على المرأة المسلمة أن تعتنى بمظهرها وملبسها سواء فى البيت أو خارجه وإذا اختارت الحجاب فلتضع همها فى التأنق به والعناية بلبسه ولها أن تضع الزينة فى وجهها ويديها . . دون تبرج ولا اسراف . . ولكن أيضاً دون تقصير ولا إهمال . .

وأنوثة المرأة من أهم عناصر نجاح الحياة الزوجية . فالزوج لا يريد أن يتزوج امرأة مسترجلة بل يريد أن يشعر

دائماً بأنه موضع اهتمام زوجته ودلالها عليه ولهفتها على لقائه . فعلماء النفس يقولون إن الرجل طفل كبير . . وإذا حرم من العطف والتدليل من شريكة حياته انقلب إلى طفل مشاغب ومخرب .

أما المرأة الموظفة فعليها أن تختار الوظيفة التى لاترهقها كثيراً لأن الإجهاد البدنى والذهنى من أهم أسباب فقدان المرأة لأنوثتها وشهوتها ويضعف رغبتها فى الجنس . . والحذر كل الحذار من الوظائف التى تستغرق معظم ساعات النهار مهما زاد راتبها لأن هذا يحطم الحياة الزوجية ويبعد الهوة بين الزوجين . وقضية عمل المرأة وساعات دوامها ليست قاصرة على المرأة المسلمة وحدها . . بل هى مشكلة عامة . . وفى أوروبا اليوم دعوة تطالب بتقليل ساعات العمل للمرأة ولو كان يتبع ذلك نقص فى أجرها وذلك حتى يتوفر لها الجهد والطاقة لزوجها وأولادها ، وكم نتمنى لو تتبنى الحكومات الإسلامية تشريعاً بجعل ساعات العمل للمرأة المسلمة لا تزيد عن ٤ ساعات بدلا من ٦ كل يوم وفى يقينى أن هذا لن يؤثر على سير العمل أو يقلل من الإنتاج .

كان هذا هو الجانب الأول من جوانب القضية .

بقى الجانب الأهم وهو البرود فى فراش الزوجية . .

وسوف اكتفى هنا برأى الإسلام وتعاليم الرسول (صلى الله عليه وسلم) . .

فالإسلام يحرم على الزوجة تحريماً قاطعاً أن تماطل زوجها أو أن تتهرب منه بأى عذر غير شرعى إذا دعاها إلى فراشه : ؛ وذلك لأن حرمان الزوج من الحياة الجنسية المنتظمة لابد أن يدفعه دفعاً إلى الكبت أو الشعور بالحرمان . وقد يدفعه ذلك إلى الزنا والتطلع إلى سواها . فالزوجة فى هذه الأحوال مسئولة عن انحراف زوجها . . ولذلك كان الإسلام حاسماً كل الحسم فى هذا الموقف إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو زوجته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها » .

(البخارى ومسلم)

ويقول أيضاً : « لعن الله المسوفات » قيل وما المسوفات يارسول الله قال « التى إذا دعاها زوجها إلى فراشه تقول سوف أحضر سوف أفعل حتى يغلبه النوم فتبيت والملائكة تلعنها » (رواه الطبرانى) ويقول أيضاً : « إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور» .

(رواه الترمذى وابن حيان والطبرانى)

— وقوله أيضاً « ثلاثة لا تقبل منهم صلاة ولا تصعد إلى السماء ولا تجاوز رؤوسهم : امرأة دعاها زوجها من

الليل فأبت عليه الحدث » .

(رواه ابن خزيمة)

وعن ابن عمر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » لايحل لإمرأة أن تنام حتى تعرض نفسها على زوجها : قالوا « وكيف تعرض نفسها على زوجها » .

قال : « تخلع ثيابها وتدخل معه فى لحافه فتلزق جلدها بجلده فإذا فعلت فقد عرضت » (اسناده لأحمد بن منيع — المطالب العالية جـ ٢) .

هذه هى تعاليم الإسلام إلى المرأة المسلمة حفاظاً على حياتها الزوجية وعلى محبة زوجها لها .

(١١) ختان المرأة عادة خطيرة على المجتمع الإسلامى والإسلام برىء منها :

يتصور كثير من الجهلة والعوام أن الإسلام قد أمر بختان المرأة . . وهذا خطأ كبير فختان المرأة عادة قديمة جداً قبل ظهور الإسلام . . وقد كانت شعوب أفريقيا وآسيا يختنون النساء وبدرجات متفاوتة . . وقد وجد الختان فى فى موميات الفراعنة والفينيقيين . . كما أنه كان مشهوراً عند عرب الجاهلية وعندما دخلت تلك الشعوب الإسلام ظل الكثير منهم يحتفظ بعاداته القديمة ومنها الختان . . بحيث أصبحت الأجيال المتعاقبة تتصور أن هذه من تعاليم الإسلام .

ونظراً لخطر هذه العادة على المجتمع الإسلامى وعواقبها الوخيمة فسوف نشرح هنا رأى الدين ورأى الطب وعلم الاجتماع : —

رأى الدين فى ختان المرأة : من المقطوع به أن الإسلام لم يأمر بختان المرأة .

١ — ويقول فضيلة الشيخ سيد سابق فى كتابه(١) فقه السنة « أن أحاديث الختان للمرأة ضعيفة لم يثبت منها شىء .

٢ — ويقول السيد محمد رشيد رضا فى مجلة المنار (٢) « ليس فى الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع واحتج القائلون بأنه سنة بحديث ورد عن أحمد والبيهقى « الختان سنة فى

---

(١) فقه السنة ج ٦ .

(٢) مجلة المنار ٢٥ أكتوبر ١٩٠٤ وقدأعيد نشره عدة مرات واستشهد به الأطباء .

الرجال مكرمة فى النساء » وراويه الحجاج بن أرطأه « مدلس » وفى رواية عن الدارمى أن وفداً من النساء جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم أن فيهن امرأة صنعتها ختان البنات فقال لها ينهاها عن المبالغة « لاتنهكى فإنه أحظى للمرأة وأحب للبعل » (الدرامى أدب ١٦٧) وقد ضعفه الدارمى

فهذه الأحاديث النبوية بفرض صحتها لا تأمر بالختان بل تجعله مكروهاً وتجعل الحفو المبالغة منهى عنها شرعاً . وسوف نشرح المغزى العلمى لقول الرسول « أحظى للمرأة وأحب للبعل » .

رأى الطب والعلم فى الختان : —

من المعروف طبياً أن الأعصاب الجنسية فى المرأة تكون مركزة فى البظر (Clitoris) كما أن الأعصاب الجنسية للرجل تكون مركزة فى رأس الذكر. فالختان كما تمارسه القابله يعنى قطع البظرة..وفى بعض الأحيان قطع جزء من الشفرة .

وهذا يعنى علمياً حرمان المرأة من جميع أعصاب الحس الجنسى فهو فى تأثيره على أنوثة المرأة وعلى رغبتها فى الجنس واستجابتها له (Orgasm) يشبه إلى حد كبير تأثير الخصى على الرجل . . فهو نوع من إهدار آدميتها والقضاء على مشاعرها وأحاسيسها . . ويصيبها بالبرود الجنسى . . وكما ذكرنا فى باب البرود الجنسى عند المرأة المسلمة فإن هذا أحد أسباب الطلاق وتفكك الأسر فى الإسلام .

— بقى أن نضيف إلى هذه ظاهرة خطيرة منتشرة فى البلاد التى تمارس عادة ختان البنات . . وهى اضطرار الرجال إلى تعاطى المخدرات كالأفيون والحشيش بقصد إطالة الجماع حتى يستطيع إشباع زوجته جنسياً .

وقد أجمع علماء الاجتماع على أنه لا أمل فى القضاء على ظاهرة المخدرات فى العالم الإسلامى إلا بعد القضاء نهائياً على ظاهرة ختان البنات .

— ولا ننسى أن طهارة البنات لها مضاعفات صحية وطبية أخرى غير التأثير الجنسى فالذى يمارسها قابلات جاهلات وقد يلتهب الجرح ويتلوث . . ويصل التلوث إلى الرحم وقنوات المبيض وقد يسبب عقماً دائماً للبنت . . وكثير من القابلات بعد قطع الشفرة يأمر الفتاة بضم رجليها بشدة مما ينجم عنه التصاقات وضيق فى باب المهبل ، وهذا بدوره يسبب عسر الولادة بحيث تحتاج الفتاة إلى عملية شق المهبل حتى لا يختنق الجنين أثناء الولادة .

وهذا قليل من كثير من أضرار هذه العادة البغيضة . . وإذا كانت مصر قد خطت خطوة قانونية بعدم الترخيص للقابلات بالطهارة فالأجدر أن يمتد هذا التشريع إلى عقوبة الأبوين أو الأسرة التى تختن ابنتها . . وحتى لو لم يطبق هذا القانون فإن وجود القانون سوف ينبه الناس إلى خطر هذه الجريمة فى حق بناتهم .

النظافة الجنسية فى الإسلام

« ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين »

سورة البقرة ٢٢٢

النظافة الجنسية فى الإسلام

لقد اهتم الإسلام بنظافة الجسم عامة . وأعطى كل عضو حقه من الاهتمام ابتداء من شعر الرأس حتى أظافر القدمين ثم أعطى الأعضاء التناسلية اهتماماً خاصاً باعتبارها أكثر الأعضاء تعرضاً للتلوث والمرض فمن تعاليم الإسلام فى هذا المجال ما يأتى : —

١ — الاستنجـــاء :

أى غسيل السبيلين بالماء بعد التبول والتغوط وعدم الاكتفاء باستعمال الورق الجاف كما هو الحال فى أوروبا وكثير من البلاد الغير إسلامية . . وتقضى السنة باستعمال الماء أولا لإزالة النجاسة ثم يجفف البلل من الماء بشىء طاهر جاف ولو كان ورقة (وقبل أن يعرف الورق كان الناس يستعملون حجراً جافاً إذا كانوا فى الفلاه) .

• وفى هذا يقول رسول الله (تنزهوا فى البول فإن عامة عذاب القبر منه) «متفق عليه» ومعنى التنزه هو التطهر والاستنجاء .

ولهذه العادة الكثير من الفوائد الصحية وخصوصاً فى حالة المرض : ففى مرض السكر أو البول السكرى يحتوى بول المريض على كمية كبيرة من السكر ، فإذا تركت آثار البول على العضو بعد التبول يجعله عرضة للالتهابات والتقيح

ثم تنتقل الميكروبات إلى مجرى البول فتسبب التهابه وكثيراً ما تنتقل هذه الميكروبات إلى الزوجة عند الجماع فتسبب لها التهاب الفرج والرحم وقد يؤدى إلى العقم .

ويشمل الاستنجاء غسل الشرج أيضاً بالماء ثم تجفيفه بالورق وتظهر أهمية هذه العادة أيضاً عند إصابة الشخص بالطفيليات والديدان فهناك مثلا ديدان (الاكسورس) وهى ديدان صغيرة تخرج بكميات كبيرة مع البراز . فإذا لم تنظف الشرج جيداً فإن هذه الديدان تستطيع أن تعيش حول فتحة الشرج على بقايا البراز وتتكاثر فى هذه المنطقة محدثة التهاباً شديداً فى الجلد ثم تنتقل بويضات الديدان إلى السراويل والملابس والأيدى فتعدى الشخص السليم أثناء الأكل . . وهذه الديدان وكثير غيرها لا يجدى معها المسح بالورق وحده بل لابد من استعمال الماء ثم المسح بالورق .

ومن حكم الإسلام الرائعة فى هذا المجال أن المسلم لايستنجى (أى يغسل دبره أو قبله) بيده اليمنى بل يجب أن يكون ذلك بيده اليسرى لأن اليد اليمنى لتناول الطعام والسلام على الناس فيجب أن لا تكون عرضة للميكروبات . وفى هذا تقول السيدة عائشة (إن الرسول كان يأكل بيمينه ويسلم بيمينه أما الاستنجاء فبيساره (وفى عصرنا الحاضر أصبحت الشطافة التى يندفع منها الماء بقوة تغنى عن استعمال اليد فى الاستنجاء وهى لازمة فى كل بيت مسلم .

٢ — الختان للرجال :

وذلك لقول رسول الله :

« أربع من الفطرة الختان وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الأبط » .

(أخرجه السته)

وقد شرع الختان فى اليهودية والإسلام وللختان كثير من الفوائد الصحية والجنسية :

١ — فهو يمنع الأقذار عن الذكر . . لأن هذه الأقذار تتجمع تحت القلفة وتصبح بيئة لتوالد الميكروبات والروائح الكريهة . .

٢ — ويقلل الختان من احتمالات إصابة الذكر بمرض الزهرى حيث ثبت أن ميكروب هذا المرض يتخير القلفة بالذات للنمو بها .

٣ — كما أن القلفة نفسها كثيراً ما تتعرض أثناءالاحتكاك والمجامعة للتسلخ والجروح ثم تصبح عرضة للالتهاب .

٤ — كذلك ثبت أن الختان يقلل من إمكانية إصابة الذكر بالأورام الحميدة والسرطان بأنواعه .

٥ — ومن أهم فوائد الختان للرجل هو مساعدته على الإطالة أثناء . . المجامعة وتعليل ذلك أن المنطقة الأكثر حساسية فى العضو الذكر هى الرأس ففيها تتركز خلايا الجنس

والأعصاب وعند وجود القلفة حول الرأس فإنها تمنع عنه الاحتكاك الخارجى مما يجعل الذكر شديد الحساسية عند أى تلامس . أما إذا قصت القلفة وأزيلت من حول الرأس فإن هذا الجزء الحساس يصبح أقل حساسية بسبب احتكاكه الدائم بالملابس مما يفقد الخلايا العصبية جزءاً كبيراً من حساسيتها ، ولهذا فإن الختان يجعل الرجل أكثر قدرة على الإطالة فى المجامعة . .

ومرة أخرى نؤكد على أن أمر الإسلام بالختان قاصر على الرجال فقط ولا يتناول النساء (اقرأ موضوع ختان المرأة) .

٣ – ويحرم الإسلام المباضعة أثناء الحيض : –

وفى ذلك يقول تعالى :

« ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله . إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » . . سورة البقرة ٢٣٣ ولهذا الأمر أكثر من حكمة طبية وجنسية .

(أ) فى فترة الحيض يفرز جسم المرأة هرموناً يختلف عن الذى يفرزه فى الفترة العادية . . وهذا الهرمون يجعل المرأة فى حالة نفسية ومعنوية غير عادية وبعض النساء يصاب فى هذه الفترة باضطرابات عصبيةوتكون كارهة للمجامعة فى تركها فى هذه الفترة احترام لمشاعرها وظروفها .

(ب) وفى هذه المرحلة أيضاً تكون أعضاء المرأة التناسلية كالرحم والمبيض والبظر فى حالة احتقان شديد وهذا يجعلها عرضة للجراح الصغيرة والتسلخات الغير مرئية أثناء المجامعة وقد يسبب ذلك دخول الميكروبات التى تسبب التهابات ينجم عنها العقم .

(ج) أما بالنسبة للرجل فإنه قد يصاب بالالتهابات لأن الدم النازل من الرحم يعتبر فاسداً وهو مزرعة للميكروبات التى قد تصيب مجرى البول .

ولكن الإسلام رغم نهيه القاطع عن الجماع فى فترة الحيض فهو ينهى الرجل عن مقاطعة المرأة وإهمالها . . وعندما نزلت الآية فى قوله تعالى : —

(ولا تقربوهن حتى يطهرن) .

ظن بعض الصحابة أن معناها مقاطعة الزوجات وعدم لمسهن أو مشاركتهن الفراش . . وقد نهاهم الرسول عن ذلك فقد كان الرسول يقبل زوجاته ويلاطفهن ويداعبهن وينام معهن فى نفس الفراش ونفس الثوب أثناء الحيض .

* جاء الصحابى الجليل (مسروق) إلى عائشة رضى الله عنها فى منزل النبى فقال . . السلام على النبى وأهل بيته . . فقالت عائشة . . أبو عائشة ؟ مرحباً ؟ ؟ ؟ قال أريد أن أسألك عن شىء وأنا استحى قالت : إنما أنا أمك وأنت ابنى . . قال ما للرجل من امرأته وهى حائض . . قالت : كل

شىء إلا فرجها . . والإسلام فى ذلك يسبق أحدث أساليب التربية الجنسية الحديثة . . فى فترة الحيض تكون المرأة شديدة الحساسية . . ورغم كراهيتها للمجامعة فهى تكون أشد حاجة لملاطفة الزوج وتعاطفه معها . . فإن هذا يرفع معنوياتها ويسرى عنها فما أحكم الإسلام وتعاليمه . .

٤ — الطهارة بعد المباشرة :

والقصد بالطهارة غسيل جميع أعضاء الجسم أى الاستحمام وليس القصد من الاستحمام هنا هو النظافة وحدها . فقد يكون الإنسان نظيفاً قبل المجامعة ولكن من المعروف طبياً أن الإنسان بعد المجامعة يفرز جسمه كمية كبيرة من مادة الأدرينالين . . وهذه المادة تفتح مسام الجلد وتنشط غدد العرق للإفراز فتظهر للإنسان رائحة خاصة تكون عادة كريهة . . وأكثر الناس لايحسون برائحة عرقهم ولكن غيرهم يحس بها فى الحال خاصة إذا تلامس الجسمان كما فى العلاقة الجنسية .

ولهذا السبب فقد سن الإسلام الطهارة قبل المعاودة الجنسية أيضاً وفى ذلك يقول الرسول :

• «إذا جامع» أحدكم وأراد أن يعاود فعليهبالطهارة فإن ذلك أنشط ؟ (صحيح مسلم) .

ومعنى هذا الحديث أن الرجل إذا أراد أن يعاود

المجامعة مرة أخرى بعد الأولى مباشرة فيحسن به أن يستحم قبل الثانية . فهذا الاستحمام يعيد له نشاطه ويزيل عنه رائحة عرقه ويجعله فى أحسن حالاته النفسية والجنسية .

٦ — وإلى جانب الاستحمام بعد المباشرة فإن الإسلام يأمر بغسل الأعضاء الجنسية أى (الاستنجاء) بعد المباشرة لمن يريد النوم بدون طهارة ويحسن أن يكون ذلك بعد العملية الجنسية مباشرة . . ولهذا الأمر فائدة طبية كبيرة . . فمعظم الميكروبات التى تعيش فى الأجهزة التناسلية والتى يمكن أن تنتقل من أحد الزوجين إلى الآخر هى من النوع الضعيف (Delicate) الذى يمكن القضاء عليه بمجرد الغسيل بالماء قبل أن يتمكن من اختراق الجلد والأغشية المخاطية ، وقد جاء فى البخارى عن بن عمر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيرقد أحدنا وهو جنب؟ » فقال له صلى الله عليه وسلم « . . توضأ واغسل ذكرك ثم نم » .

٥ — ويأمر الإسلام المرأة بالغسل بعد المحيض :

وذلك لقوله تعالى :

« ولاتقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله » وقد سألت بعض النسوة رسول الله عن غسل المحيض فشرحه قائلا : « تتخذ إحدكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور ثم تصبه على رأسها فتدلكه دلكاً شديداً حتى يبلغ شئون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة

فتطهر بها » فسألت إحداهن وكيف تطهر بها ؟ قال : سبحان الله تطهرى بها » . . فقالت عائشة تزيدها شرحاً « تتبعى أثر الدم » .

(رواه مسلم)

ومعنى هذا الحديث غسل الجسم كله غسلا جيداً ثم غسل الفرج والمهبل أيضاً من الداخل لإزالة ما بقى فيه من آثار الدم حتى لا يكون مرتعاً للميكروبات ثم تطيب المهبل بوضع قطن معقم له رائحة طيبة فيه حتى يزول كل أثر لدم الحيض .

٦ — ويحرم الإسلام الزنا تحريماً قاطعاً :

وحقيقة أن جميع الشرائع والقوانين تحرمه . . ولكن الإسلام ينفرد بأنه جاء بأشد العقوبات وأكثرها ردعاً فى هذا المجال إلى جانب أنه قد هيأ للمسلم كل السبل ليعيش حياة سليمة وكاملة فلا يحتاج إلى الانحراف أو الزنا . فسمح له بتعدد الزوجات وسمح له بالطلاق وسوف نأتى إلى فائدة الطلاق والتعدد وأثرهما فى منع الزنا : ومن الناحية العلمية فإن أضرار الزنا نوعان : أضرار اجتماعية فهو يؤدى إلى تحطيم الأسرة وموت الإخلاص والثقة والترابط العائلى . . كما يؤدى إلى جرائم العرض والشرف وإلى ظهور الاتجار بالجنس والرقيق الأبيض وأخيراً يؤدى إلى اختلاط الأنساب

والأطفال الغير شرعيين وكثيراً ما يحدث فى أوروبا أن يتزوج الرجل امرأة ثم يكتشف بعد الزواج أنها أخته من أبيه أوأمه عن طريق الزنا ولم يكن يعلم ذلك .

الأضرار الطبية : وهى انتشار الأمراض التناسلية عامة كالزهرى الحاد والزهرى الوراثى ومرض السيلان والعقم الجنسى . واخيرا مرض العصر والمسمى الآدز AIDS

٧ — ويحرم الإسلام الشذوذ الجنسى واللواطه : وقد ذكرنا أضرارهما الصحية .

(١٣) الحكمة الطبية فى تشريع الطلاق وتعدد الزوجات

حديث شريف

« أبغض الحلال عند الله الطلاق »

متفق عليه

الحكمة الطبية فى تشريع الطلاق وتعدد الزوجات

لقد تحدث علماء المسلمين كثيراً عن حكمة الإسلام فى السماح بالطلاق وتعدد الزوجات وكان تركيز أكثر الباحثين على النواحى الأخلاقية والاجتماعية التى أوجبت هذه التشريعات . وفى هذا البحث نركز على الأسباب الطبية والجنسية التى تحتم إباحة الطلاق أو التعدد كحل صحى لكثير من المشاكل التى قد تنشأ فى الحياة الزوجية .

أولا — اختلاف الطبيعة الجنسية للرجل والمرأة :

فالمعروف أن الرغبة الجنسية والقدرة عليها تختلف من إنسان إلى آخر اختلافاً بيناً . ويتوقف هذا الاختلاف على كمية الهرمونات التى تفرزها الغدد الجنسية . فمن الناس من يحب المعاشرة الجنسية مرة أو مرتين فى اليوم الواحد وإذا حرم من هذه الرغبة أصيب بالضغط العصبى والشعور بالحرمان .

ومن الناس من لا يستطيع بطبيعته . المعاشرة الجنسية أكثر من مرة أو مرتين فى الشهر كله .

ومن الجنسين أيضاً من يستجيب جهازه العصبى منذ اللحظات الأولى للمباشرة ومنهم من لايستجيب إلا بعد فترة تغيب طويلة ومنهم العاطفى الذى يحتاج بشدة إلى العواطف

والتقبيل والتمهيد قبل المباشرة ومنهم البهيمى الذى لايحس بالعاطفة أو يرغب فيها حتى أثناء المباشرة .

ولسنا نقول هنا أن هذه الأسباب والتناقضات فى طبيعة أى من الزوجين تبرر الطلاق أو تبرر تعدد الزوجات . فكثيراً ما تعالج بعض هذه الحالات بالتثقيف الجنسى حتى يتلائم كل من الزوجين مع طبيعة الآخر . .

وقد تعالج بالأدوية المهدئة أو المنبهة إذا لم تكن الحالة مزمنة أو مستعصية ولكن هناك بعض الحالات تفشل فيها كل هذه العلاجات ويصبح من المحال على أحد الزوجين الاستمرار على هذا الوضع بل يصبح إجباره على الاستمرار فيه ضد طبيعته باعثاً له على الانحراف والزناأو يحدث له اضطرابات عصبية وعقداً عصبية . وكثيراً ما تعرض على الأطباء حالات متناقضة وشديدة التباين . زوجةشديدة الشبق والشهوة ،وزوج ضعيف الانتصاب أو سريع الإنزال أو زوج شديد الشهوة ، وزوجة شديدة البرود . وكثير من هذه الزيجات المتناقضة يستطيع التوفيق والتوائم سواء بالأدوية أو العلاج أو بتقديم بعض التنازلات .

ولكن يجب أن نعرف أن الكثير منها ينتهى بأحد أمرين : اما الطلاق أو الانحراف والزنا .

ثانيا — العقم فى المرأة أو الرجل :

والعقم الذى نتحدث عنه هنا ليس العقم المؤقت أو العقم الذى يمكن علاجه بالأدوية أو العمليات الجراحية أو بأى وسيلة طبية . ولكن هناك حالات يعجز الطب والعلم أمامها . وأغلب حالات العقم (٧٠٪) تكون فى النساء فى حين أنها فى الرجال (٣٠٪) فقط . وفى هذه الحالات يصبح الخيار أمام الزوجين إن شاءا أن يعيشا بغير أطفال عن رضى ، وإن شاءا أن يتزوج الرجل بإمرأة ثانية (إذا كان العقم من الزوجة فقط) لتنجب له الأطفال . وكثيراً ما يتم ذلك عن تراض ووفاق بين الزوجين ودون أن يكون سبباً فى المشاكل والضغائن بل غالباً ما يكون باختيار الزوجة نفسها وتشجيعها . وهذا بلا شك حل إنسانى ومنطقى لمشكلة لا مفر من مواجهتها بأسلوب واقعى . أما إذا كان العقم من الزوج فإن طلاق الزوجة عن تراض ووفاق (إذا أرادت) وزواجها من آخر قد يكون حلا مرضياً .

ثالثا — حالات المرض المزمن :

الذى يعوق أحد الزوجين عن أداء وظيفته الزوجية مثل إصابة أو مرض فى العمود الفقرى وقد تنشأ عن تلف أو مرض فى الغدة النخامية وقد تحدث فى مرض السكر المتقدم والالتهابات المزمنة فى الجهاز التناسلى كالسيلان والسل

والزهرى المتقدم وبعض الأورام الخبيثة والأمراض التى تصيب الأعصاب . ومن هذه الأمراض المزمنة أيضاً الجنون والسل الذى لايشفى والجذام والشلل والسرطان . وجميع الأديان متفقة على أن الارتخاء الجنسى يبيح الطلاق ولكن الإسلام هو الوحيد الذى يبيح الطلاق للأمراض الأخرى كالجنون والجذام والبرص وبديهى أن هذه الحالات تسرى على الرجل كما تسرى على المرأة .

ولسنا نقصد من هذه الأمثلة أن أى الزوجين إذا أصابه مرض ميئوس منه بعد زواجه كان معنى ذلك أن يتخلى عنه شريك حياته ويتركه بغير رعاية ولكن الله قد شرع تعدد الزوجات لمثل هذه الحالات بحيث تبقى الزوجة المريضة فى كنف زوجها يرعاها . وفى نفس الوقت لاتحرم الزوج الحياة الطبيعية كأى إنسان سليم . فهذا خير أن نترك المشكلة بدون حل .

وهنا قد يقول قائل : ماذا يكون الحل الإسلامى إذا أصاب المرض الزوج وكانت الزوجة شابة سليمة . وكثيراً ما يتساءل بعض الأوربيين لماذا لا تكون هناك مساواة فيعطى المرأة نفس الحق الذى تعطيه للرجل أى تعطيها الحق فى تعدد الأزواج ونرد على ذلك فنقول : إن تعدد الأزواج ما هو إلا زنا والزنا قد حرمته جميع الشرائع وليس الإسلام وحده، ولكن الشرع قد أباح للزوجة فى هذه الأحوال أن تطلب

الطلاق إذا أرادت لكى تبدأ حياة زوجية جديدة . كما أحل لها أن تصبر على حظها فى الدنيا إذا أرادت . ولكنه لايحل لها بأى حال من الأحوال الانحراف أو الزنا كحل ثالث كما هو متبع فى المجتمعات الأوربية .

رابعا — الأمراض الموروثة فى الدم :

وهى الأمراض التى ينقلها أحد الزوجين إلى أولادهما ، فهذه حالات يكون كل من الزوجين سليماً وخالياً من الأمراض ولكنه يحمل فى نطفته أحد العوامل الوراثية التى تنتقل إلى أبنائه فتقتلهم وهم أجنة فى الرحم أو إذا ولدوا ظهرت عليهم هذه العاهة المستديمة مدى حياتهم وقد تقتلهم ، وبعض هذه الأمراض الوراثية لاتظهر فى الطفل إلا إذا كان الخلل موجوداً فى نطفة الأب وبويضة الأم كليهما معاً ، وإذا ما تزوج كل منهما شخصاً آخر بعيداً عن الأسرة أمكن أن ينجب أطفالا أصحاء وهذه الظاهرة العلمية هى ما يسمى بالصفات الوراثية المتنحية .

ونستعرض هنا بعض الأمراض الوراثية على سبيل المثال لا الحصر :

(ا) مرض أنيميا البحر المتوسط Thalas emia وفى هذا المرض يكون الأب والأم سليمين ولكن جميع أطفالهما يصابون بتكسر سريع فى كرات الدم الحمراء

مما يسبب لهم فقر دم شديد يحتاجون إلى عملية نقل دم كامل على فترات منتظمة مدى الحياة وهو مرض خطير وقاتل فى كثير من الأحيان .

(ب) مرض نزيف الدم الوراثىHehaemophillia وفى هذا المرض فإن جميع الأطفال الذكور المولودين يصابون بحالة نزيف دم لأقل جرح يصابون به . وغالباً يستمر هذا النزيف دون توقف حتى الوفاة ، وإذا عاش الطفل فإن حياته تظل مهددة عند أقل خدش وهذا المرض الوراثى ينتقل فى النساء فقط ولكنه يصيب أطفالهم الذكور دون الإناث . وهو قاتل ولا علاج له .

(جـ) مرض روسوس R.H : وهو المسمى بمرض تكسر الدم الوراثى وينتج هذا المرض إذا كان دم الأم سلبياً لعامل روسوس وكان الزوج إيجابياً . فى هذه الحالة ينتج دم الأم مواد مضادة لدم الجنين بحيث يتكسر دمه وهو فى الرحم ويموت . وإذا نجا الطفل وولد فإنه يصاب بتكسر دمه بعد الولادة وبعض هؤلاء الأطفال يحتاج إلى عملية نقل دم كاملة مرة كل شهر على الأقل . وقد أصبح بالإمكان فى العصر الحاضر تجنب أضرار هذا المرض بنوع من التطعيم للأم بعد الولادة مباشرة .

(د) وهناك مجموعة كبيرة من الأمراض التى ثبت انتقالها بالوراثة أيضاً مثل مرض السكر وارتفاع الضغط وتصلب الشرايين وبعض الأمراض النفسية والعضلية كالصرع والجنون فى هذه الحالات قد يرث الطفل الاستعداد للمرض من أبويه أو من اخواله أو أعمامه وقد تصل إليه العاهة من أجداده .

(١٤) الإسلام وتنظيم النسل

«أعوذ بالله من جهد البلاء . . كثرة العيال مع قلة الشئ»

حديث شريف

رواه النسائى

الإسلام وتنظيم النسل

— كثير من الدول الإسلامية فى عصرنا هذا تشكو من نقص فى الكثافة السكانية . . ومن ذلك دول الخليج العربى والعراق والسودان .

وفى هذه البلاد تكثر الموارد، وتتوافر الأراضى الزراعية الخصبة التى لا تجد من يستثمرها ، وبذلك تعتبر الحاجة إلى زيادة النسل ضرورة ملحة للأمن والدفاع ، ولاستغلال الموارد والثروات ، ولمنع الاعتماد على غير أبناء الأمة فى مختلف المشاريع الزراعية والصناعية .

وبعض هذه الدول مثل دول الخليج يضطر إلى الاعتماد فى تعويض نقص السكان على استجلاب العمالة من دول آسيا من بوذيين وسيخ وهندوس ومسيحيين مما يشكل خطراً على الأمن والأخلاق العامة ، وخاصة إذا ترك الطفل والطفلة المسلمة لرعاية هؤلاء المربيات والخادمات .

— وإلى جانب هذا الظرف الخاص ، فقد يحتاج الأمر فى بلاد أخرى إلى زيادة النسل حتى فى المناطق المزدحمة بالسكان ورغم قلة الموارد ، وذلك إذا كانت فى حالة حرب أو مهددة بها . من ذلك ما هو حادث فى باكستان وبنجلاديش ، وهما دولتان إسلاميتان يزيد تعدادهما عن

المائة مليون مسلم ، ولكنهما توجهان أعظم تكتل بشرى فى الدنيا على حدودهما سواء فى الصين أو الهند ، كذلك ماحدث فى مصر التى أصيبت مع العـــدو الإسرائيلى بثلاثة نكسات متوالية فى سنة ٤٨، ٥٦، ١٩٦٧ . وفى بعض هذه النكسات كان الجيش المصرى يكاد يتعرض للتدمير تدميراً كاملا بحيث يظن العدو أنه لن تقوم له قائمة مرة أخرى ، ولكن التفوق العددى للشعب المصرى كان دائما يعوض هـــذه الكوارث ويسد النقص وسرعان ما يبنى جيش جديد ويظهر جيل جديد من المقاتلين .

— وفى ظروف حرب التتار والصليبيين لم يحم الإسلام ويصمنه من الزوال غير التفوق العددى للمسلمين . . . فرغم المذابح الرهيبة التى تعرضوا لها فى تلك الحروب حتى كانت مدن كاملة تباد عن آخرها ، فقد عادت الأمة الإسلامية مرة أخرى وانتصرت على أعدائها بل استطاعت أن تحتوى الغزاة وأن تدخلهم فى دينها كما حدث مع التتار .

ومن هنا نقول إننا نؤيد زيادة النســـل فى الأمة الإسلامية بصفة عامة . وفى ظل دولة الإسلام التى يراعى فيها حسن توزيع الثروة وزيادة موارد الدخـــل إلى جانب حرية التنقل والهجرة داخل الوطن الإسلامى الكبير بحيث تنتقل الأسر المسلمة من مناطق الزحام إلى مواطن الكثافة السكانية القليلة لتعميرها .

وفى عصور ازدهار الإسلام كانت الدولة تفرض راتباً لكل مولود فى الإسلام وكل رضيع وتظل ترعاه حتى يستغنى عن أبويه .

—ولكن قضية تنظيم النسل لها وجه آخر لا يمكن إغفاله ولها ظروف وشروط يجب مراعاتها فى عصرنا الحاضر . . فى المجتمع الزراعى أو البدوى القديم كان الناس يعيشون على الفطرة . . وكانت زيادة النسل فى داخل الأسرة الواحدة تعنى إضافة « يد » جديدة تعمل فى الحقل أو فى رعى الغنم ، ومعناها زيادة الخير ودخل الأسرة دون زيادة فى المسئوليات والواجبات ، وكان معدل الأسرة فى تلك العصور بين ستة إلى عشرة أطفال .

— أما فى عصرنا الحاضر عصر التوتر الحضارى ، والعمل الذهنى والدراسات الجامعية الطويلة والمعقدة ، فإن الطفل يظل عالة على أهله منذ مولده حتى تخرجه من الجامعة ، ثم مقدرته على العمل وكسب عيشه ، وهو بحاجة إلى رعاية خاصة ومكثفة من أبويه .

— ولا تقتصر رعاية النشأ فى عصرنا الحاضر على الإنفاق المادى وحده . . بحيث يقال إن الأغنياء معفون من مشكلة تنظيم النسل ، ولكن الطفل المعاصر وفى هذا المجتمع المعقد المتطور يحتاج إلى رعاية نفسية ومعنوية وأخلاقية وتربوية إلى جانب الرعاية المادية .

— وقد اثبتت الأبحاث الاجتماعية أن الطفل الذى يعيش فى أسرة كبيرة وبين عدد كبير من الأشقاء والإخوة يصبح عصبياً حاد المزاج كثير الشغب والمشاكل ، وذلك لأنه تعود على أن يعامل بالإهمال وعدم الاستجابة لرغباته . . كما أثبتت الاحصاءات أن الكثير من الأطفال الذين يرتكبون مختلف الجرائم الأخلاقية هم ضحية الحرمان من اهتمام الأبوين وعطفهم وملازمتهم لهم منذ الصغر . . وأن أحد الأسباب الرئيسية لذلك هو كثرة الأطفال .

أضف إلى ذلك كله واقع أمتنا الإسلامية فى عصرنا الحاضر حيث تنعدم رعاية الدولة للطفل .

الإسلام وتنظيم النسل :

والإسلام الذى اهتم بكل قضايا الأسرة المسلمة قد جاء بالتشريعات التى تصلح لكل زمان ومكان ، ولكل بيئة ومجتمع ، وهذا هو رأى الدين فى قضية تحديد النسل : — لقد حبب الإسلام فى النسل وبارك الأولاد ذكوراً وإناث ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تزاوجوا تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة » وجاءه رجل يسأله فى تزوج امرأة لاتنجب الأطفال فقال له الرسول « تزوجوا الودود الولود » أى أن الزوجة المنجبة خير من العقيم .

(رواه بن ماجه)

ويقول أيضاً « لاتزوجن عجوزاً ولا عاقراً فإنى مكاثر بكم الأمم » .

(رواه الطبرانى) .

ولكن هذه الأحاديث تتعلق بالتشجيع على النسل عامة ولا تتعلق بعددهم ولا بكثرتهم وهى لا تتعارض مع تحديد النسل بعدد معين .

فقضية تحديد النسل قد حسمها الإسلام منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث سمح بالعزل (والعزل) معناه العلمى منع نطفة الرجل من الوصول إلى بويضة الأنثى لإخصابها . وهذا أمر قد سمح به الإسلام وأجازه فقهاء الشرع لأنه لايدخل فيه وأد ولا اضرار بروح .

وقد كان الصحابة يلجأون إلى العزل والقرآن ينزل فلا يمنعهم . وقد جاء فى الصحيحين عن جابر «كنا نعزل على عهد رسول الله فبلغه ذلك فلم ينهنا عنه » وفى صحيح مسلم «كنا نعزل على عهد رسول الله والقرآن ينزل » .

— وكانت طريقة العزل الوحيدة المعروفة فى ذلك العصر أن ينزل الرجل ماءه خارج الرحم وهى طريقة غير مضمونة ولا أكيده فى منع الحمل إذ قد تفلت من الرجل

قطرة تؤدى إلى الحمل خطأ . وقد جاء فى (أصحاب السنن) فى هذا المجال أن رجلا أتى الرسول وقال « يارسول الله : أن لى جارية وأنا أعزل عنها » وأنى أكره أن تحمل وأنا أريد ما يريد الرجل . . وإن اليهود تحدث أن العزل هو المؤودة الصغرى» فقال صلى الله عليه وسلم «كذبت اليهود » لو أراد الله أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه » ومغزى هذا الحديث أن العزل لا يعتبر وأداً وأن الشرع يبيحه كوسيلة لتحديد النسل ، علماً بأنه طريقة غير أكيدة .

ومن أهم مبررات تحديد النسل فى الإسلام الخوف من كثرة الأطفال وعدم مقدرة الأم على رعايتهم فقد جاء فى صحيح مسلم أن رجلا قال للرسول صلى الله عليه وسلم « يارسول الله . . أنى أعزل عن امرأتى » فقال صلى الله عليه وسلم « ولم تفعل ذلك ؟ » قال أشفق على أولادها » فقال الرسول صلى الله عليه وسلم « لو كان ضاراً لضر فارس والروم » .

ومن الأمور المكروهة فى الإسلام أن تحمل المرأة أثناء فترة الرضاعة وقد سماه الرسول صلى الله عليه وسلم (الغيله) ومعناها اللغوى الهلاك والفساد . . لأنه يهلك صحة الطفل الرضيع بانقطاع حليب الأم وانشغالها عنه بالحمل الجديد . وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم « لاتقتلوا أولادكم سراً فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره » .

(رواه أبو داود)

ومعروف أن مدة الرضاعة فى الشرع حولين (عامين) كاملين . . ومعنى ذلك أن الإسلام يحث على عدم الحمل قبل فوات عامين بعد الولادة السابقة .

وقد تحدث فقهاء المسلمين عن العزل وتحديد النسل فالإمام الغزالى يبين لنا منذ عدة قرون مبررات العزل فى الإسلام فجعلها خمسة مبررات وجعل أولها الخوف على جمال المرأة أن يشوه من كثرة الحمل والولادة . فانظر إلى أى مدى هذا التفتح والواقعية .

وسائل العزل فى العلم الحديث :

لقد توصل العلم الحديث إلى عدة طرق فعالة للعزل ، فمن ذلك اللولب الذى يوضع داخل الرحم فى مكان تعلق البويضة بالجدار فيؤدى بطريقة ميكانيكية إلى منع الحمل وهذه الطريقة الميكانيكية كانت أيضاً معروفة على عهد الرسول حيث كانت القبائل تضع نواة أو حجراً صغيراً فى أرحام نوقها لمنعها من الحمل أثناء السفر الطويل ، وهناك أيضاً الحجاب الحاجز الذى يوضع على مدخل الرحم .

ولكن أحدث الطرق وأسلمها هى حبوب منع الحمل التى وظيفتها الرئيسية منع تكون البويضة وهناك نوع جديد

من هذه الحبوب تزرع الحبة الواحدة منه تحت الجلد فتؤدى إلى منع الحمل خمس سنوات متوالية .

وفى بعض الدول الفقيرة التى تضخمت فيها مشكلة التفجر السكانى مثل الهند والصين يلجئون إلى اجراء عملية جراحية بسيطة للرجال وذلك بربط القنوات التى تمر بها نطفة الرجل . وتحدث هذه العملية عقماً مؤقتاً للرجل ولكنها لا تؤثر على حياته الزوجية الطبيعية .

وفى تلك البلاد لا تحتاج العملية إلى طبيب مختص ولا إلى مستشفى معين ، بل يجريها حلاق الصحة فى دكانه بعد أن يدرب من قبل المختصين وهى لاتكلف كثيراً . وقد يضطر الرجل إلى هذه الوسيلة إذا كانت المرأة لا تتحمل صحياً وسائل منع الحمل الأخرى أو إذا كانت موارد الأسرة لا تسمح بشراء حبوب منع الحمل . ويجب أن يفهم جيداً أن جميع هذه الوسائل تدخل فى باب العزل المباح شرعاً .

المبررات الطبية لتحديد النسل :

بعد أن ذكرنا المبررات الاجتماعية والاقتصادية التى تدعو إلى تحديد النسل فهناك مبررات طبية تحتم على كل أسرة مسلمة أخذ هذا الموضوع الخطير مأخذ الجد والاهتمام به مهما أتيح لها من رخاء ويسر ، وهذه بعضها .

أولا — الخوف من تشوه النسل :

فقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن فترة الإخصاب السليم للمرأة هي بين سن العشرين والخامسة والثلاثين . وأن المرأة التي تنجب الأطفال وهي صغيرة جداً وأيضاً التي تنجب وهي كبيرة السن يكون أطفالها عرضة للعيوب الخلقية والوراثية . أو عيوب في الشخصية والعقلية وقد لوحظت هذه الظاهرة في الأسر الكثيرة الإنجاب حيث يكون (آخر العنقود) أقل من مستوى اخوته صحياً أو ذهنياً وقد يكون متخلفاً عقلياً ، ومن العاهات المنتشرة في هؤلاء الأطفال وجود ثقب في القلب أو انشقاق في الشفة والحلق أو عدم نزول الخصية . وفي الدول المتقدمة إذا تزوجت المرأة بعد سن الخامسة والثلاثين لأي ظرف كان ، يوضع حملها تحت الملاحظة الطبية الدقيقة وتعمل لها فحوصات مستمرة خوفاً من ظهور عاهة في الجنين .

ثانيا — تشوه جسم المرأة وإصابتها بالأمراض :

فالحمل المتكرر يستهلك صحة الأم ويسبب ترهل جسمها ويعرضها للكثير من الأمراض مثل هبوط القلب والسكر والتهاب المرارة وتضخم الكبد والدوالي ، كما أنها حتماً تصاب بالسمنة والترهل وسقوط الرحم أو انقلابه ، وكل هذه العوامل تؤدي بالتالي إلى تأثير غير مباشر على صحة الجنين .

ثالثا — وهنـــاك أمراض فى الأم توجب تحديد النسل منذ البداية :

فمن ذلك إذا كانت مريضة بمرض مزمن مثل السكر ، أو مرض فى القلب مثل روماتزم القلب أو اضطراب النبض ، أو ارتفاع الضغط أو مرض السل فمثل هؤلاء النساء يحسن أن تكتفى بطفل أو اثنين على الأكثر ومن هذه الأسباب ضيق الحوض بحيث لا تلد إلا بعملية القيصرية كما أن هناك حالات يكون الحمل فيها خطيراً على حياة الأم مثل تسمم الحمل المتكرر الذى قد تكون نتيجته إما التضحية بحياة الأم أو حياة الجنين لإنقاذ حياة الأم .

هل تحديد النسل فى صالح الإسلام والمسلمين :

لقد فشلت جميع محاولات تحديد النسل فى العالم الإسلامى رغم ما أنفق عليها من أموال باهظة لسبب رئيسى واحد . : وهو اعتقاد الكثيرين من العوام أن تحديد النسل حرام ! !

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو ربه قائلا « أعوذ بالله من جهد البلاء » قالوا وما جهد البلاء يارسول الله قال « كثرة العيال مع قلة الشيء » (رواه النسائى) وهذا ينطبق على أحوال كثير من الأسر المسلمة اليوم .

عندما ظهر الإسلام كان تعداد المسلمين قلة بين سكان

العالم ، ولكن كان الفرد منهم بألف من غيرهم من الشعوب والديانات وذلك بفضل ما توفر لهم من التربية المحمدية والتعاليم القرآنية . وبهذا وحده ، وليس بالكثرة والعدد سادوا الدنيا وهزموا أعتى جيوش العالم ووصلت فتوجهم من الصين حتى الأندلس .

واليوم ، وقد أصبح تعداد المسلمين قرابة الألف مليون مسلم أى قرابة ربع سكان الكرة الأرضية ، ولكنهم فى حال من الضعف والتفكك بحيث أصبحت بلادهم محتلة وجيوشهم مقهورة وخيرات بلادهم منهوبة وأصبح ينطبق عليهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها » قالوا « أو من قلة فينا يومئذ يارسول الله ؟ ! ! قال « كلا بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل » .

(رواه أبو داود وأحمد)

وختاماً نقول : ان القوة التى يتطلبها الإسلام لأبنائه لا تكون بالكم والعدد وإنما بالكيف والنوعية . وأن الإسلام لا يريد لأبنائه أن يكونوا غثاء كغثاء السيل . والشريعة الإسلامية إذ تتطلب الكثرة إنما تطلبها قوية لا هزيلة . وعندما تصبح الكثرة على حساب الجودة فإن الجودة تصبح أصلح للمسلمين من الكثرة وإذا قلنا أن كل اصلاح يبدأ بالأسرة

أولا . كان لنا أن نقول أن أحد واجبات الأسرة المسلمة في العصر الحديث هو تنظيم النسل بما أذن الله ورسوله به من وسائل لكى تتوفر للأبوين المسلمين الطاقة للعناية بأولادهم ولإنجاب جيل جديد يربونه على نهج رسول الله وهدى القرآن .

جيل يكون الواحد فيه بألف من أعدائهم
ولا يكون فيه الألف بواحد .

(١٥) الإجهاض ورأى الشرع فيه :

لقد نهى الإسلام عن قتل الأبناء فالله تعالى يقول :

« ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم » ويشمل هذا الأمر الجنين الحى فى بطن أمه أو الطفل المولود الكامل الولادة . ولكن هناك أسباب طبية وعلمية قاهرة قد تقتضى إسقاط الحمل فى أى مرحلة من مراحله .

فمن ذلك أن تتعرض حياة الأم للخطر إذا ترك الحمل مستمراً كما فى حالة تسمم الحمل ومنها إذا ثبت أن الجنين سوف يولد مشوهاً بعد تعرضه لمرض معدى وهو فى بطن أمه مثل الحصبة الألمانية أو الزهرى الوراثى . فى هذه الأحوال وبناء على رأى الطبيب المختص فإن الشريعة تأمر بارتكاب أخف الضررين والضرورات تبيح المحظورات ويؤذن للطبيب بإنهاء الحمل بعد اقرار الوالدين .

متى تبعث الروح فى الجنين :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك . ثم يكون مضغة مثل ذلك . ثم ينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : — يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد » .

(رواه البخارى ومسلم)

فمعنى هذا الحديث الشريف أن الروح لاتدب فى الجنين إلا بعد الأربعين يوماً الثالثة أى بعد ١٢٠ يوماً (مائة وعشرين) أما قبل هذا التاريخ فلا يعتبر إنساناً حياً ، وبناء على ذلك فقد أجاز بعض فقهاء الإسلام إسقاط الجنين (للضرورة) إذا لم يكتمل مائة وعشرين يوماً من الحمل . وهذا الرأى يتلاقى مع رأى الطب فالجنين لايكتمل خلقه طبياً إلا بعد تمام الشهر الثالث أى بعد تسعين يوماً أما قبل هذا التاريخ فإنه يكون نطفة فى دور التشكيل وتكون حياته حياة فسيولوجية فقط كأى خلية من خلايا الجسم أو مثل الحيوان المنوى الحى والبويضة الحية .

وقد فصل الإمام على هذا الرأى بوضوح لايجعل مجالا للشك . . فى مجلس عمر تذاكر الحاضرون العزل . . فقال رجل : يزعمون أنه المؤودة الصغرى . فقال الإمام على : لا تكون موؤدة حتى تمر عليها الأطوار السبعة حتى تكون سلالة من طين . ثم تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم تكسى لحما ثم تكون خلقاً آخر . . فقال عمر : صدقت أطال الله بقاءك .

(١٦) الإسلام وطفل الأنابيب

مع تقدم العلم الحديث . . والتطور المذهل الذى أدخله الإنسان على الأجهزة والمختبرات العلمية . . فقد أصبح طفل الأنابيب حقيقة شائعة . وسوف تلعب فى المستقبل القريب دوراً خطيراً وحاسماً فى حياة الكثير من الأسر . . وسوف يأتى وقت ليس ببعيد حين يسأل الطفل زميله فى المدرسة فى براءة . . هل أنت صناعى أم طبيعى . . أو هل أنت طفل أنابيب ؟ وحتماً سيكون بين كل مائة طفل فى المدرسة عشرة أطفال من هذا النوع إذ دلت الإحصاءات على أن نسبة العقم ١٠٪ بين الأسر . .

ولما كانت هذه القضية ذات علاقة مباشرة وهامة جداً بالدين والشرع وذلك لارتباطها بالأبوه والبنوه . . وعلاقات الأسرة وتماسكها . . وقواعد الزواج والأنساب والمواريث. فلا بد أن يكون لنا نحن المسلمون رأى واضح فى كل صغيرة وكبيرة منها يكون مبنياً على مبادىءالشريعة الإسلامية . . وتعاليم ديننا السمحاء .

العقم فى الرجل والمرأة :

العقم أنواع عديدة . وليست كل حالة عقم تحتاج إلى العلاج بطفل الأنابيب . . فقبل اكتشاف هذه الطريقة

كانت نسبة كبيرة من حالات العقم تعالج بنجاح بوسائل طبية أو بعمليات جراحية بسيطة . ولكن العقم الذى نتحدث عنه هنا هو الذى تفشل فيه جميع الطرق العلاجية الأخرى وليس له حل سوى طفل الأنابيب . . ويمثل العقم فى الرجال ٤٠٪ من أسباب العقم كما يمثل فى النساء ٦٠٪ .

وأسبابه فى الرجال وجود علة فى نطفة الرجل . فقد تكون الحيوانات المنوية معدومة وغير موجودة وهو أمر نادر جداً . . وقد تكون هناك نسبة كبيرة من هذه الحيوانات ميتة أو مشوهة . . فإذا زادت هذه النسبة عن ٤٠٪ كان احتمال العقم وارداً . . وهذه الحالات أمكن التغلب عليها حديثاً بواسطة طفل الأنابيب . . إذ يؤخذ منى الرجل وتفصل منه الحيوانات السليمة . . وتوضع فى الأنبوب على بويضة الزوجة لضمان حدوث التلقيح . فإذا تكون الجنين يمكن نقله إلى رحم الأم مباشرة .

أما العقم فى المرأة فأهم أسبابه أحد أمرين : —

إما وجود إنسداد فى قناة المهبل . . مما يمنع البويضة من النزول للإخصاب : وإما لعلة أو ضعف فى الرحم نفسه بحيث لايتمكن الجنين عن التعلق بجداره لكى يتغذى وينمو .

كيف يصنع طفل الأنابيب :

تؤخذ بويضة الأم عند تكونها بواسطة حقنة تدخل من

جدار البطن مباشرة إلى قناة المهبل . . فتشفط البويضة من خلال الحقنة ثم توضع فى أنبوب (حضانة) ويطلب من الزوج إعداد عينة من السائل المنوى التى توضع على البويضة مباشرة . . ويمكن مراقبة التحام الحيوان المنوى بالبويضة ثم انقسام الجنين إلى خلايا متعددة تحت الميكروسكوب وبعد ٤٨ ساعة يمكن نقل هذا الجنين إلى الرحم مباشرة وزرعه داخله . . وهذه هى المرحلة الحساسة جداً والتى تحتاج إلى الدقة والمهارة . .

الرحم الظئر :

إذا وجدنا بالتجربة أن رحم الأم لايقبل تعلق الجنين به ونموه بداخله فقد تغلب العلم الحديث على هذه بأن يزرع الجنين فى رحم امرأة أخرى تتبرع لحمل هذا الجنين (سواء بأجر أو بغير أجر) ويظل الجنين فى رحمها طوال مدة الحمل الطبيعية وتحدث لها جميع أعراض الحمل من رحم وإدرار الحليب وكبر الثديين وخلافه .. وفى الموعد المحدد تلد ولادة طبيعية . وقد اصطلح على تسمية هذه الحالة بالرحم الظئر . .

حكم الإسلام فى طفل الأنابيب :

— بديهى أن تكوين الجنين من نطفة الأب الشرعى وبويضة الأم الشرعية أمر مقبول شرعاً . . بإجماع آراء المشرعين

والعلماء المختصين المسلمين . وهذه قضية مسلم بها ولا جدال حولها . .

— وفى نفس الوقت فإن تكوين الجنين من نطفة أب آخر أو بويضة أم أخرى أمر مرفوض شرعاً . وقد ظهرت فى أوروبا الآن بنوك تحتفظ بأنواع من النطف والبويضات لعمل أجنة تحت الطلب نظير أجر معين . . وقد عارضتها الكنيسة . . واعتبرت الإبن غير شرعى .

— ولكن القضية التى يدور حولها الخلاف بين المشرعين المسلمين والأطباء هى الرحم الظئر . . فقد أفتى بعضهم أن الجنين حتى يكون شرعياً لابد أن يخرج من رحم أمه وليس من رحم أخرى . وحجتهم فى ذلك قوله تعالى : « إن أمهاتكم إلا اللائى ولدنكم » .

ويقول أصحاب هذا الرأى إن الجنين سوف يتغذى من دم امرأة أخرى .. وسوف ينمو ويتكون جسمه من عصارات جسمها . . وهذا الرأى فى نظرى خطأ : —

وأول هذا الخطأ أن استعمال الآية القرآنية جاء فى غير موضعها . . فالقصد منها هو منع انتساب أحد إلى غير أبويه الشرعيين . . ومنع اختلاط الأنساب فى حين أننا فى هذه الحالة نعرف عن يقين نطفة الأب وبويضة الأم الأصليين فلا اختلاط فى الأنساب .

وإذا كان الجنين قد زرع فى رحم امرأة أخرى غير مه فإن دور الرحم الظئر هنا هو نفس دور الحاضنة التى تغذى الطفل من لبنها أو دور الأنبوبة التى ينمو الطفل فيها ويعيش فترة هامة من حياته ويتغذى تغذية صناعية .

والرحم الظئر ليس حالة نادرة فى قضية طفل الأنابيب بل إن نصف حالات العقم التى ذكرناها ليس لها سوى هذا الحل فكيف تحرم هذه الأسرة من هذه النعمة التى تقدمها الحضارة للإنسان ولا تتعارض مع نص شرعى . .

إن الفتوى بالتحريم والإباحة أمر خطير جداً ولا يجب أن تلقى الفتاوى بغير علم ولا دراسة .. ويجب أن يكون الرأى الأول فى مثل هذه الأمور لرجل العلم المختص المسلم حتى لانضيق على الناس فى حياتهم وييأسوا من دينهم . . وتضطرهم حاجة الحياة العصرية وضروراتها الملحة إلى اعتبار الدين بعيداً عن الواقع . . فيتركون دينهم لأهله . . ويصبح هذا الدين مهجوراً . .

زرع المبايض آخر صيحة فى علاج العقم : —

بعد التطور الهائل فى ميدان الجراحة المجهرية . . وبعد ما توصل إليه الإنسان من زرع أعضاء كاملة من إنسان متبرع أو من إنسان حديث الوفاة إلى إنسان آخر فنقلوا القلب . . والرئة والكبد . . وبعد أن قطع طفل الأنابيب

شوطاً كبيراً من النجاح . . بعد هذا كله ظهرت آخر صيحة فى علاج العقم وهى زرع المبيض وأنبوب فالوب حيث نجحت أول عملية من نوعها سنة ١٩٨٥ فى مستشفى سانت لوك بأمريكا على يد الجراح المجهرى الدكتور شيرمان سيلبر . ومن المنتظر أن تعدم هذه العملية بعد نجاحها وتأخذ مكان طفل الأنابيب فى علاج الكثير من أسباب العقم . .

والنقطة الحساسة فى هذه القضية هى كيف ننظر إليها إسلاميا .

لقد قبل المشرعون عملية نقل القلب والرئة وأى عضو فى الجسم للضرورة وإنقاذاً للحياة ولكن نقل المبيض قضية أخرى . . لأن البويضة التى تنشأ لن تكون بويضة الأم الأصلية . . والجنين الذى ينشأ فى رحمها سيكون جنين المرأة المعطية صاحبة المبيض وليس جنينها . . فإذا زرعنا مبيض امرأة شقراء فى امرأة سوداء مصابة بالعقم فإن الجنين سيكون أشقر مثل أمه . . فما هو حكم الشرع فى هذه الحالة . أعتقد أننا يجب أن نتريث طويلا . قبل أن نصدر حكماً فى هذه القضية أيضاً .

مراجع الكتاب

(ا) المراجع الدينية :

١ – القرآن الكريم

٢ – الأحاديث النبوية الشريفة من المصادر المعتمدة .

١ – البخارى ٢ – مسلم

٣ – أبو داود ٤ – الترمذى

٥ – النسائى ٦ – ابن ماجة

٧ – أحمد بن حنبل

٣ – الفقه على المذاهب الأربعة : دار الإرشاد للتأليف والطبع .

٤ – فقه السنة للشيخ سيد سابق « مكتبة الآداب» مصر .

(ب) دراسات عامة : –

١ – الحلال والحرام فى الإسلام « يوسف القرضاوى» .

٢ – قوانين الأسرة « سالم بنهاوى » – دار القلم الكويت

٣ – خطبة النساء : د. عبد الناصر توفيق العكار : جامعة الأزهر .

٤ – تحرير المرآة : قاسم أمين المركز العربى للبحث والنشر.

٥ – المرأة العربية فى ظلال الإسلام : عبد الله عفيفى دار الكتاب العربى .

٦ - المرأة بين البيت والمجتمع : البهى الخولى .
٧ - المرأة فى التصور الإسلامى : عبد العال محمد الجبرى مكتبة وهبة .
٨ - أخبار النساء : ابن القيم الجوزية . . دار مكتبة الحياة بيروت .
٩ - الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده : تحقيق محمد عمارة : القاهرة الثقافة العربية .
١٠- المرأة فى الإسلام : د. على عبد الواحد وافى .
١١- من هنا نبدأ : خالد محمد خالد . مؤسسة الخانجى القاهرة .

(ج) بين الطب والدين :

١ - الطب الوقائى فى الإسلام : دكتور أحمد شوقى الفنجرى - الهيئة العامة للكتاب .
٢ - خلق الإنسان بين الطب والقرآن : د. محمد على الباز الدار السعودية للنشر والتوزيع .
٣ - الإسلام والطب : د. حامد الغوابى .
٤ - القرآن والطب : د. محمد وصفى .
٥ - الإجهاض بين الفقه والطب والقانون : د. سيف الدين السباعى .
٦ - القرآن والتوراة والإنجيل والعلم : د. موريس بوكاى
٧ - لمحات من الطب الإسلامى : د. حسان حتحوت (بالانجليزية) .
٨ - الطب الإسلامى : مانفريد أولمان .

(د) مراجع طبية بالإنجليزية :

أبواب الكتاب :

١ – العلاقة بين الدين والجنس
والثقافة الجنسية فى الإسلام .
٢ – القرآن والتزاوج وعلم الأجنة
٣ – الزواج فى نظر الإسلام والأديان الأخرى
٤ – الخطوبة واختيار الزوجة فى الإسلام
٥ – الحب فى نظر الإسلام
٦ – الاختلاط : فى نظر الدين والعلم
٧ – النكاح وآداب المعاشرة فى الإسلام
٨ – النكاح وآداب المعاشرة فى الإسلام
٩ – العادة السرية فى رأى الدين والعلم
١٠ – البرود الجنسى عند المرأة المسلمة : أسبابه وعلاجه
١١ – ختان المرأة عادة خطيرة والإسلام برىء منها .
١٢ – النظافة الجنسية فى الإسلام
١٣ – الحكمة الطبية فى تشريع الطلاق وتعدد الزوجات
١٤ – الإسلام وتنظيم النسل ومنع الحمل
١٥ – الإسلام والإجهاض
١٦ – الإسلام : وطفل الأنابيب وزرع المبيض .
١٧ – مراجع الكتاب

كتب للمؤلف

١ – كتاب « اسرائيل كما عرفتها » :

يشرح خبرة المؤلف حول اسرائيل عن طريق محاربتهم فى سنة ١٩٤٨ وفى سنة ١٩٥٦ وفترة الاعتقال فى (عتليت) ويبين أخلاق وعقائد شعب اسرائيل وخطرها على العروبة والإسلام .

٢ – كتاب « الجولة الحاسمة بين العرب واسرائيل » :

يبين كيفية الانتصار على اسرائيل فى جولة حاسمة عندما تتوفر للمسلمين الديمقراطية والحرية السياسية وفى ظل العقيدة الدينية .

٣ – كتاب « الحرية السياسية أولا » :

« دار القلم مصر والكويت » دراسة عن أهمية الحرية السياسية فى نهضة الأمم وتلافى الأخطاء وإصلاح الاقتصاد مع دراسة واقعية لتلافى عيوب الحرية المطلقة .

٤ – كتاب « الحرية السياسية فى الإسلام » :

« دار القلم مصر والكويت » يبين نظام الحكم فى الإسلام

المبنى على الديمقراطية والشورى وحرية الرأى والنصيحة ويصحح مفهوم كثير من الناس عن الحكم فى الإسلام .

٥ — كتاب « الطب الوقائى فى الإسلام » :

« الهيئة العامة للكتاب » ويبين تعاليم الإسلام للوقاية من الأمراض وإقامة مجتمع صحى منيع ضد الأوبئة ويشرح هذه التعاليم فى ضوء العلوم الطبية الحديثة .

٦ — الإسلام والحياة الجنسية : دار عالم الكتب

٧ — سلسلة تمثيليات :

« دار القلم . الكويت » دار أفاق الغد — القاهرة . ص . ب . ٢٠١٤٦ .

١ — « خولة بنت الأزور » فارسة الإسلام .

٢ — « سراقة بن مالك » الصحابى المتوج .

٣ — « رفيده » الممرضة الأولى فى الإسلام .

٤ — السابقون إلى الإسلام .

٥ — شروق الإسلام فى مصر .

٦ — عمر بن عبد العزيز .

٧ — سلمان الفارسى « دار عالم الكتب » .

٨ — العلوم الإسلامية « الناشر » مؤسسة الكويت للتقدم

العلمى » ٣ أجزاء أول كتاب مصور فى اللغة العربية عن انجازات المسلمين فى شتى العلوم التطبيقية .
ويشرح اكتشافاتهم واختراعاتهم العلمية التى سرق الكثير منها ونسبه غيرهم إلى نفسه فى أوروبا .

٩ – كتب تحت الطبع :

١ – الإختلاط : فى الدين وعلم الأجتماع .
(الهيئة العامة للكتاب)

٢ – الإسلام فى حياتنا العصرية .

نحو إقامة مجتمع إسلامى مثالى فى القرن العشرين .

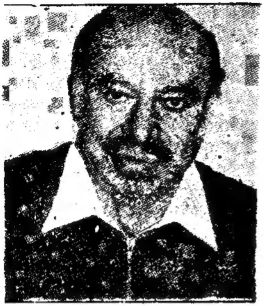

المؤلف

فى سطور

- الدكتور أحمد شوقى الفنجرى .

طبيب وإخصائى فى الطب الوقائى والصحة العامة .

- عضو بمنظمة العلوم الطبية الإسلامية الدولية .

- عضو برابطة الأدب الإسلامى (لكنو - الهند) .

- باحث ومستشار علمى بمؤسسة الكويت للتقدم العلمى .

- عضو ومؤلف بالموسوعة العلمية الكويتية للطفل .

- مؤسس معرض الطب الإسلامى .

- مؤسس شركة الفن الإسلامى للأعمال التلفزيونية الإسلامية

- مؤلف للكثير من الكتب التى تشمل العلوم الدينية والإنسانية والاجتماعية والسياسية .

- مؤلف سلسلة التمثيليات الإسلامية .

- مؤلف سلسلة العلوم الإسلامية .

- حازت بعض مؤلفاته على جوائز الدولة التشجيعية فى الكويت والعالم العربى .

عن المؤلف والكتاب ..

الدكتور أحمد شوقى الفنجرى مؤلف هذا الكتاب طبيب ومفكر إسلامى .. وله العديد من المؤلفات فى كلا المجالين : الدين والعلم .

كما أنه معروف بأبحاثه فى المؤتمرات العلمية المتخصصة فى القضايا التى تجمع بين علوم الدين وعلوم الطب (الطب الإسلامى) .

وهذا الكتاب «الإسلام والحياة الجنسية» عبارة عن دراسة علمية جادة لإحدى القضايا الحيوية فى حياة كل أسرة مسلمة والتى يجب أن يعرف كل مسلم ومسلمة تعاليم دينه فيها فى ضوء العلم الحديث .

وجميع المسائل والأبواب التى تطرق إليها هذا الكتاب مستوحاه من واقع حياة الأسرة المسلمة ومشاكلها .. والتى تختلف كثيراً عن حياة ومشاكل الأسرة الأوروبية أو غير المسلمة .

ومن هنا فإن هذا الكتاب لابد منه لكل فتى وفتاة مسلمة فى مختلف مراحل العمر . ولكل رجل وامرأة سواء قبل الزواج أو بعده وهو هدية العروس لعروسته .. وهدية الأب لابنه .. وذلك عملا بقول الرسول ﷺ :

« نعم النـ[illegible] الأنصار .. لم يكن يمنعهن حياء أن يتفقهن فى الدين »

عالم الكتب

الناشر
عالم الكتب
٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة